

فؤاد شهاب

باني دولة الاستقلال

شهادات

المقدمة

في الندوة التي أقيمت في المدرسة المركزية بدعوة من الرهبانية المارونية يوم الجمعة بتاريخ 1994/2/11 خاطب شهيد لبنان والعرب دولة الرئيس رفيق الحريري الحاضرين قائلاً: "لقاؤنا اليوم لا بدّ من ان يندرج في إطار المصارحة المسؤولة واسمحوا لي ان أقول قبل كل شيء، إن هذه المنطقة بالذات، منطقة كسروان أنبتت رواداً في التوجّه الوطني التوحيدي المتقدّم والمنفتح وعلى رأسهم الرئيس الكبير فؤاد شهاب الذي يقع منزله على بعد أمتار قليلة من مكان لقائنا هذا، وهو الذي نظر الى وحدة اللبنانيين من خلال بناء مؤسسات الدولة ومن خلال الإنماء الشامل والمتكامل للمناطق والقطاعات بعدما رأى ان في ذلك الوسيلة الفضلى لتجاوز المشاكل التي يعاني منها اللبنانيون ومنها مشكلة الطائفية".

وفي لقاء خاص بينه وبين مستشاريه قال لهم شهيدنا الكبير: "كلّما بحثت عن مشروع إنمائي لمستقبل لبنان في أدراج الحكم اللبناني، وجدت اسماً واحداً ينتصب باعتزاز في وجه التاريخ المعاصر هو اسم الرئيس فؤاد شهاب".

ولقد توجّهت اليه شاكراً وفاءه لذكرى الرئيس بالرغم من انه كان غائباً عن الوطن خلال العهد الشهابي ولم يعرفه عن قرب كما عرفناه نحن رفاق مسيرته، فأجابني بالحرف الواحد رحمه الله: "اسمع يا أحمد، إنّ ما ذكرته في خطابي جاء عن إيماتي الراسخ بالخط الوطني السليم الذي رسمه الرئيس الكبير فؤاد شهاب لوطنه لبنانياً وعربياً ودولياً وكلّ ما أرجوه ان أتمكّن من إكمال مسيرته الوطنية التي اختطّها للبنان".

واليوم وبعد مرور اثنين وثلاثين عاماً على رحيل فقيد لبنان، وفي كل مناسبة تطرح فيها المسائل والخطط والمشاريع لاستكمال بناء الوطن على أسس راسخة سليمة يتذكّر اللبنانيون بفخر وإعجاب الانجازات الكبيرة التي تحقّقت خلال ولايته يشهد بها في هذا الكتاب نخبة من كبار المفكرين وعدد من معاونيه.

والآن إذ يمرّ لبنان في مرحلة دقيقة من تاريخه نتذكّر ابداً فكر الرئيس شهاب ورؤياه وتطلّعاته لحلّ المعضلات التي يواجهها الوطن في الظروف الحرجة. قائد فذّ آمن بوطن وبغد هذا الوطن ومستقبله وهذا الإيمان هو شرط أساسي للقيادة في أيّ حكم إصلاحى حقيقي.

فؤاد شهاب نفتقده دوماً في الملمات ونستلهم من ذكرى أيامه الطيبة الأمل بغدٍ أفضل.

رئيس مؤسسة فؤاد شهاب

بيروت آذار 2005

السفير اللواء الركن أحمد الحاج

مهرجان خطابي لمناسبة الذكرى الخامسة والعشرون
لرحيل الرئيس فؤاد شهاب،
التي أحيتها جامعة الأمراء الشهابيين،
في قاعة المؤتمرات في النادي اللبناني للسيارات والسياحة
ATCL - الكسليك في 1998/4/24

كلمة رئيس "جامعة الأمراء الشهابيين، الأمير حارس شهاب:

يوم تتحدّث عن فؤاد شهاب، رجل الصمت والتواري، ترتعش الكلمة، ويرتجف الصوت، فهو كان يؤثر السكوت على الكلام، ويفضل الفعل على القول. ترانا اليوم في لقائنا هذا، نعتدي عليه ونجرح صمته الطويل؟ لست أدري. ولكنكم لعالمون، ان غياب هذا الرجل، كلّما طال، كلما أصبح حضوره في الذاكرة وفي التطلّعات، أسطع بهاء وأبلغ كلاماً. تراه الموت يزيل الغشاوة، ويكشف الضباب، ويجمع الأعداء أكثر ممّا تفعله الحياة؟

في مثل هذا اليوم، وهذه الساعة، ومنذ خمس وعشرين سنة، رحل من هذه الأرض حاملاً معه عصارة تجربةٍ امتدّت في القرن العشرين، وهو الذي ولد في مطلعها، دون ان يدري اننا سنكون، في خاتمته، على موعد معه، نوقظه من غفوة الأبدية على بعض الضجيج، على بعض الصراعات، على بعض التمزقات والتشوّهات، لنقول له: نحن بانتظار أمثولة جديدة في العطاء، في الزهد، في الصبر، في بناء المؤسسات، وفي وحدة الشعب والدولة.

إنطلق من عائلة جسّدت منذ القدم رسالة وطننا في عيشه الواحد الإسلامي - المسيحي، كما كانت دوماً مرصودةً لخدمة لبنان، في ما هو قدر تاريخي لها، والتزام وقرار وطني، وما الإمارة أولاً واخيراً، إلاّ التميّز بالوطنية والتواضع والشجاعة والصدق. إختصر بشخصه تراث عائلته، فكان الأمير.

تدرّج في الجندية ناذراً نفسه لها، فكان ويا للمفارقة الحلوة، إبناً للجيش وأباً له في آن واحد. بنى المؤسسة العسكرية لتصبح درعاً وسياجاً للوطن، ورمزاً لوحده، وعنواناً لكرامته، فكان اللواء القائد.

سعى اليه التاريخ، ومن المؤسسة العسكرية انطلق بانياً دولة المؤسسات، فإذا بهذا العسكري، والمفارقة تتجدد، الأكثر ديمقراطية بين المدنيين، فكان الرئيس.

عرف عندما وصل الى الحكم في ظروف إقليمية وداخلية صعبة ودقيقة، وإثر أحداث أليمة دامية، كيف ينهي الحرب في النفوس في فترة زمنية قصيرة، بعدما كان قد أنهاها على الأرض، فبنى سلماً أهلياً واجتماعياً نحن اليوم نسعى اليه.

بعد الحكم، إنصرف الى صحراء عزلته الطوعية، مثقلاً بالقلق والوجع والقهر، ليعلن بقوة الشجاعة والإيمان والترفع، رفضه تسلّم الحكم مرة اخرى، مستشرفاً المستقبل في قوله: "إنّ المؤسسات السياسية اللبنانية، والأصول التقليدية المتبعة في العمل السياسي، لم تعد في اعتقادي تشكّل أداة صالحة للنهوض بلبنان والقيام بعمل جدّي على الصعيد الوطني لتكريز ديمقراطية تؤمن للجميع الإفادة من عطاءاتها، والبلاد غير مهتأة بعد ولا معدّة لتقبّل تحولات لا يمكنني تصوّر اعتمادها، إلا في إطار احترام الشرعية والحريات الأساسية التي تمسكت بها، وعلى ذلك قررت ان لا أكون مرشحاً لرئاسة الجمهورية".

ترانا اليوم ونحن نذكر ونتذكر، وبعد حروب وآلام ومأس و هجرة وتهجير ودستور جديد، ترانا قادرين على القول "إنّ المؤسسات السياسية اللبنانية، والأصول المتبعة في العمل السياسي، أصبحت تشكّل أداة صالحة للنهوض بلبنان؟ أسأل ولا أجيب.

لقد مثلّ الرئيس شهاب صراع المستقبل مع الماضي، واجه أنانية السياسة الصغيرة الضيقة بتجرّد القيم الكبيرة، فأوحى الثقة، وأعطى الدليل أنّ الأزمة في لبنان هي أبداً أزمة مصداقية الرجال قبل ان تكون أزمة النظام. نهجه نهج الدولة، وشتان ما بين نهج الدولة ونهج الأشخاص.

ايها الأصدقاء،

يبقى سؤال معلق في القلب: ماذا تبقى من فؤاد شهاب بعد خمس وعشرين سنة على غيابه؟

بقيت روحه التي تشكّل مدرسة تتحدّى الزمن، لأنها ليست قائمة على صنمية الشخص، بقدر ما هي قائمة على مداميك الوطنية الصلبة تصون الاستقلال، وعلى العدالة السمحاء، والتوازن الصادق، وقيام المؤسسات. بقي تراثه ونهجه الذي سما بممارسة الحكم الى حدّ الدعوة والرسالة، وكان فيلسوف الدولة لقضايا الانسان.

هكذا تقوم الأوطان، وعلى هذا نمبني وفقاً صحيحاً، لا يتصدّع بلعبة من هنا، وبخطاب من هناك، ولا يتهاوى ضحية أهواء وأغراض ولا يسقط بريح النافخين حسداً وشرأ وإجراماً.

لقد أطلق فؤاد شهاب شرارة ثورة التغيير، وهي مقبلة لا محال، لأنه كلما طال الزمن كلما ازدادت الحاجة أكثر فأكثر الى هذا التغيير الديمقراطي الواعي، وعلينا واجب ان يكون شعلة الوطن الجديد في القرن الواحد والعشرين، على أيدي أجيالنا الشابة المتحرقة لوطن الأخلاق، والحرية والكفاءة، والوحدة الوطنية الحقّة، فلا يكون في اللبنانية تمييز ولا امتياز، ولا فضل لمواطن على آخر إلا بالعمل الصادق لا يكلّ في سعي دؤوب لبناء التقدّم والقضاء على معالم التخلف.

فأهلاً وسهلاً بكم، تشاركون في هذه الذكرى التي شئناها متواضعة. أهلاً وسهلاً بالذين والوا فؤاد شهاب، كما بالذين عارضوه. الزمن، وهو الشاهد والرقيب على كلّ ما يجري، وحدّ الجميع في نظرتهم الى فؤاد شهاب، فغابت الصغائر، ليبقى كبير ما صنعه في سبيل رفعة لبنان.

ويا ربّ، أعطنا ان نكون أوفياء، فنردّ نحن والدولة، بعض ما لفؤاد شهاب علينا، وهو لم ينصف، ولم يُفَ حقاً، ولكنّ العظماء المجلّين وحدهم، كما الأنبياء، يعطون فيقابلون بالتتكّر، لا سيّما في زمان ليس فيه أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل.

أجمل الوفاء له، بناء دولة على حجم تطلّعاته وطموحه، وعلى فكر وسواعد أبنائها، هذه الدولة سوف تقوم.

عشتم وعاش لبنان.

كلمة العميد الركن المتقاعد جان ناصيف:

لعلّني في موقفي هذا أمامكم، ايها السيدات والسادة، أخرج على القاعدة التي تربيّت عليها في مدرسة الرئيس اللواء فؤاد شهاب.

فنحن، تلامذته، في الجنديّة والوطنية والواجب، لم نأخذ في حسابنا ان نرتقي المنابر، غير ان هذا أصبح حقاً لنا بعد ان انتقلنا من الحياة العسكرية الى الحياة المدنية.

أنا هنا لأتحدث عن القائد الذي أسس الجيش اللبناني وزرع فيه روح الانضباط والتضحية والخدمة في سبيل الوطن والشعب، وبنى الهيكل العسكري والإداري والتقني في زمن كانت الامكانات ضئيلة والأسلحة محدودة التنوع والفعالية لدولة فتية ناهضة من تحت عبء الانتداب.

يغريني الكلام عن اللواء فؤاد شهاب، ولكنه في الوقت نفسه يثقل علي بالصعوبات، فالقائد الذي لازمته لسنوات عديدة كان لنا الأب، والمعلم، والمرشد، البسيط الكلام، الواضح القصد، الشفاف

الرؤية، البعيد النظر، يجمع بين الأناقة والوقار، وبين الحكمة والعاطفة، وبين الزهد وعزة النفس على كبرياء من دون تكبر، على تواضع من دون ضعف. كان فيه روح من القداسة والإيمان بالحق وبالإيمان، كل ذلك كان تعبيراً عن إيمان بالله يجعله قوياً واثقاً بالنفس ما دام على صدق واطمئنان الى سلامة العقل والضمير.

على مقربة من هنا، في غزير، ولد فؤاد شهاب في العام 1903 لترعاة عائلة لبنانية عريقة بوطنتها وتاريخها ولتحضنته في المرحلة الثانوية في مدرسة الأخوة المريميين في جونيه قبل ان يختار في مطلع الشباب الانخراط في السلك العسكري فدخل في بداية العام 1921 المدرسة الحربية التابعة للجيش الخاصة في الشرق وكان مركزها في دمشق. وما لبث ان تخرج ضابطاً في أواخر العام 1923 ليتدرج في سلم المسؤوليات حتى أصبح في منتصف الثلاثينات قائداً لموقع راشيا.

ربما كان حظه في تلك البلدة التاريخية التي شهدت بداية معركة الاستقلال انه في هذه البلدة ومحيطها وجد نفسه قريباً من البيئة الشعبية اللبنانية التي تشكل نموذجاً مثالياً للوحدة الوطنية والعيش المشترك وكذلك لفهم طبيعة الحياة والعيش في المناطق اللبنانية المحرومة من نعم الدولة المتمركزة في العاصمة، ومن هناك بدأ يختزن في وجدانه الإنساني والاجتماعي واجب العمل من أجل العدالة والعلم والإيمان والمساواة في جميع المناطق البلاد.

بعد متابعته لعدة دورات عسكرية كان آخرها عام 1938 في مدرسة الحرب العليا في باريس انتقل الى الأركان العامة للجيش الخاصة في بيروت فأولت اليه مهمات تنظيمية ثم أولي قيادات عملائية ل وحدات مقاتلة مؤلفة في معظمها من الجنود اللبنانيين. لقد أصبح داخل بيئة عسكرية لبنانية تنتمي الى مختلف المناطق والأديان وتشكل أيضاً نموذجاً مثالياً لمجمل أفراد الشعب، فانكبّ على تنشئة عسكريه ورعايتهم رعاية الأب الذي يتطلع الى مستقبل مزدهر وأمن لأسرته. في هذه الفترة ترسّخ عنده المعنى العميق للوطنية وبدأ يظهر ذلك من خلال إشارات التوجيهية للضباط اللبنانيين.

في تلك المهمات كان فؤاد شهاب العسكري، الأمين على كرامة وطنه وأهله، يدرك في قرارة نفسه ان اليوم الذي سيبرز فيه شمس الحرية والاستقلال لم يعد بعيداً.

مع بزوغ هذا الفجر اختارته القيادة السياسية الأولى للبنان المستقل في الأول من آب 1945 ليكون أول قائد لجيش الاستقلال. لم يكن هذا الاختيار لاسم او نسب عائلي، بل لشخصية عسكرية وطنية مميزة تتمتع بالوطنية والنزاهة والأخلاق والكفاءة المهنية الكفيلة ببناء وتنظيم جيش يكون ضمانته للاستقلال وسياجاً للنظام والدستور.

وكان القائد فؤاد شهاب كان على موعد قريب مع الواجب الأول انطلاقاً من الحدود الجنوبية حين قاد بصفته القائد الأعلى للجيش اللبناني والقوى التابعة له الأعمال الحربية في فلسطين من 15 نيسان 1948 وحتى آذار 1949، ويشهد التاريخ العسكري والوطني لجيش لبنان ولقائده انه خاض معارك مشرفة ومتقدمة داخل أراضي فلسطين في مواجهة الميليشيات المسلحة التي كانت طليعة جيش العدو الإسرائيلي ورأس الحربة في المؤامرة على البلد الجار وشعبه الآمن. وقد رفع الجيش اللبناني أعلامه في معركة المالكية الشهيرة في 5 حزيران 1948 وأنجز المهمة التي أمر بها بنجاح قبل ان يضطر الى الانكفاء مع غيره من الجيوش العربية التي دخلت فلسطين.

لقد لمس القائد فؤاد شهاب جرح فلسطين باكراً وعلى وجع هذا الجرح أصدر ميدالية فلسطين التي منحت لجميع العسكريين الذين شاركوا في المعارك.

على مدى السنوات من 1945 الى 1952 كان على اللواء شهاب ان يبني الجيش الذي تسلّم أمانة قيادته كما كان عليه ايضاً ان يراقب بصمت وحذر الوضع الشعبي والسياسي في البلاد قبل ان يضطره الواجب الى قبول رئاسة الحكومة مع حقيقتي الدفاع والداخلية الى جانب احتفاظه بقيادة الجيش وذلك بمرسوم وقعه رئيس الجمهورية المغفور له الشيخ بشارة الخوري قبل ان يقدم استقاله في 18 أيلول 1952.

قبل اللواء شهاب المهمة بشرط تسليمها خلال أيام يتمّ فيها انتخاب رئيس جديد للجمهورية ولم يطل الوقت أكثر من اثني عشر يوماً تمّ خلالها انتخاب المغفور له الأستاذ كميل شمعون رئيساً للجمهورية وتشكيل حكومة جديدة. وهكذا في 30 أيلول أعاد القائد الأمانة والدستور الذي سمّاه في تلك الفترة "الكتاب" الى الرئيس الجديد وعاد بصمت الى موقعه ليقود الجيش فقط.

إلا انه عاد في العام 1956 وعلى أثر العدوان الثلاثي على مصر ليستلم لفترة حقيبة وزارة الدفاع الى جانب قيادته الجيش.

وإذا كان قدر اللواء شهاب من قدر لبنان فهذا صحيح، وما كان بوسعهِ يوماً أن يحيد عن دائرة هذا القدر ففي صيف العام 1958 وبعد أشهر صعبة من الأحداث الداخلية كان على الصامت الكبير ان يسمع نداء الواجب للتقدم الى عملية إنقاذ، وهو الذي حرص في كل ظروف تلك الأحداث وملابساتها وتشابكاتها على ان يبقى الجيش صمام الأمان للحفاظ على سلامة الوطن فهو من جهة لا يستطيع، ولا يقبل ان ينحاز او يتحيز، ومن جهة اخرى لا يستطيع ولا يقبل ان يتدخل. لكنه من موقع المسؤولية والواجب لم يكن ليسمح بهدم الديموقراطية والنظام ومنع المؤسسات الشرعية من ممارسة واجباتها كاملة، من هذا الموقع حافظ اللواء شهاب على وحدة الجيش فحفظ وحدة الدولة ووحدة البلاد الى ان وجد نفسه من جديد امام المهمة الكبرى التي اختير لها بوفاق داخلي وإقليمي ودولي فانتخب في 31

تموز 1958 رئيساً للجمهورية فحسبت الخلافات وتوقفت الفوضى وتهيأت الأجواء لتسلمه سلطاته الدستورية في 23 أيلول 1958.

قلت في البداية ان الكلام عن اللواء فؤاد شهاب يغريني ولكنه يتقل علي الصعوبات، إذ أنني لا أستطيع ان أفي هذا الكبير بعضاً من حق له علينا كعسكريين خدموا بإمرته.

فمنذ اليوم الأول لتسلمه قيادة الجيش انصرف الى بناء المؤسسة على أسس من العلم والتخطيط وعلى مرّ السنين أعاد بناء الأسلحة البرية من مشاة ومدركات ومدفعية وهندسة وإشارة الخ... كما أنشأ سلاح الجو في منتصف العام 1949 وأعدّ له الطيارين الذين تدربوا في بريطانيا واكتسبوا مهارات عالية وصار للبنان في ذلك الوقت قوة جوية مشهود لها بالفعالية. وفي نهاية العام 1954 أنشأ القوى البحرية وتلقى الضباط البحريون تدريباتهم في المدرسة البحرية الفرنسية، والى جانب بناء الأسلحة المتعددة الاختصاصات والمهمات جرى التطوير وبناء الثكنات في مختلف المناطق على قاعدة تأخذ في الاعتبار الضرورات العسكرية من جهة والمصالح الاقتصادية والاجتماعية لهذه المناطق، وهكذا نشأت علاقة وطنية وطيدة بين الجيش والشعب، فالجيش من الشعب ومن الطبيعي ان تكون بين المواطن والجندي ثقة ومودة وعطاء متبادل.

مع اكتمال إنشاء الأسلحة وبناء الثكنات وتطويع الجند كان للتدريب دوره الأساس يبدأ مع الأغرار القادمين من الحياة المدنية الذين صار الى صهرهم في قالب واحد على أسس من الولاء الوطني والانضباط والتضحية ونكران الذات. فالجندي المنتهية فترة تدريبه كالمترهب أقسم اليمين للقيام بالواجب كاملاً حفاظاً على العلم وزوداً عن الوطن، بعدها تأتي مرحلة التخصص ثم الترقية للرتب الأعلى على قاعدة الكفاءة وحدها دون أي اعتبار آخر، من خلال مكاتب الدراسة والتأهل للرتبة الأعلى.

مع هذا الواقع الواضح الشفاف أصبح التسابق نزيهاً مجرداً يصب كلاً في مصلحة الجيش الذي حصنه قائده ونشر عليه مظلة تحميه من أي تدخل او اختراق.

وإذا انتقلنا من تدريب الجند والرتباء الى تدريب وتنشئة الضباط فإن المدرسة الحربية المكتملة البناء الحديث والمزودة بالمختبرات وبمكتبه حديثة تطورت برامجها لتماشى متطلبات العصر وأصبحت مدة التنشئة والتدريب فيها ثلاث سنوات بدلاً من سنتين وتوسعت برامجها لتشمل الى جانب العلوم العسكرية والتنشئة الوطنية العلوم الثقافية والإنسانية والاقتصادية يحاضر فيها كبار أساتذة الجامعات والمفكرين.

وللاستزادة من العلم العسكري والخبرة في الحياة فإن جميع الضباط المتخرجين يوفدون لمتابعة الدورات في الخارج، وانني أذكر هنا أنني ورفاق دورتي المتخرجة عام 1957 وعشية سفرنا جمعنا اللواء قائد الجيش ليصافحنا فرداً فرداً وليتعرف عن كئيب على كل منا ويزودنا بتوجيهاته قال لنا: بالإضافة الى اكتساب المزيد في الحقل العسكري فإن عليكم التعرف على حضارة ومعالم غيرنا من البلدان والاكتساب من أهلها التربية المدنية والسلوك الصحيح لجهة احترام القانون والالتزام بالنظام من دون ان يتعارض ذلك مع تقاليدنا الأصيلة وعاداتنا الفضيلة وأخلاقنا ومثلنا اللبنانية.

كانت ثمرات هذا التدريب على جميع المستويات والرعائل تجنى في المناورة السنوية الكبرى التي تقام على صعيد الجيش بكامل أسلحته وبحضور القائد الذي كان يشرف شخصياً على المناورة. فيثني ويصحح ويعطي التوجيهات لأركانه لتعديل في المناهج هنا وإضافة وتركيز هناك لأن التطبيق الحقيقي يتطلب ذلك ولأن التدريب ليس عملية جامدة بل متحركة تلبى كل حاجة مستجدة.

من كل ما تقدم فإن اللواء فؤاد شهاب نراه في الجيش المدرسة قائداً عسكرياً ومصالحاً اجتماعياً وإذ أعجز عن اختصاره مآثره في دوره العسكري على الأقل فإنني واحد من مئات من الضباط الذين كان لهم الحظ والشرف بالانتماء الى مدرسته التي تقوم على مبدأ ان للجيش دوراً تجاه الوطن والشعب لا يفصل بين واجب الدفاع عن الأرض والسيادة وواجب الخدمة العامة في أي حقل او مجال ما عدا مجال السياسة وكل ما من شأنه ان يباعد ولا يقرب او ان يفرق ولا يوحد. واننا لنحفظ قوله في حفل استقبال في نادي الضباط عشية العيد الوطني في 22 تشرين الثاني 1960 عندما جمع قائد الجيش آنذاك المرحوم اللواء عادل شهاب في تقليد سنوي، قادة الوحدات والضباط الموجودين في بيروت لمناسبة العرض العسكري ودعا رئيس الجمهورية اللواء فؤاد شهاب لترؤس الاجتماع فوجه الرئيس القائد الى الضباط كلمة قال فيها:

"اذا كان الواجب الأول الملقى على عاتق الجيش هو ان يتعلم كيف يحارب وكان هذا هو السبب الرئيس لوجوده بل هم كل يوم من أيامه، فإن للجيش في لبنان مهمة أخرى لا تقل نبلاً عن مهمته الأصيلة، ان للجيش بالإضافة الى دوره الأصلي، شأن البوتقة التي يأتي لينصهر فيها كل عام الألوف من الشباب اللبنانيين سواء أكانوا طلاباً يتلقون التدريب العسكري او متطوعين في الخدمة الفعلية. هنا تفعل روح الجيش فعلها في نفوس هؤلاء المواطنين، بما تنفحهم من فضائل الوطنية العالية ومن شعور الأخوة في الحياة وأمام الأخطار ومن ذهنية الانضباط، ومن الإخلاص الذي يبلغ حدّ التضحية بالنفس في سبيل الوطن. ومن هنا نطلق في تيار مستمر مثل الجيش العليا الى عناصر الشعب كله بواسطة الخطوط العديدة العميقة التي تتمثل بعائلات الجنود وأصدقائهم".

هذه المدرسة التي أسسها اللواء فؤاد شهاب أول قائد للجيش والتي مرّت بظروف صعبة خلال الحرب العبيثة التي عصفت ببلدنا عادت إليها اليوم الروح الوطنية المتجردة فاستعادت مجدداً ثقة الوطن والمواطن.

وأخيراً إذا كان لي ان أوجز دور القائد في الجيش وفضلّ الرئيس على الوطن فأقول انه رجل مرّ في حياتنا كبيراً نبيلاً فقد ترك سيفه القاطع على علم الجيش وترك بصمة يده النظيفة على تاريخ الوطن.

كلمة معالي الدكتور حسن شلق:

سيداتي سادتي،

تحياتي واحترامي،

عندما كلفني المسؤولون عن إقامة هذا الاحتفال إلقاء كلمة بمناسبة مرور ربع قرن على انتقال فخامة الرئيس المرحوم فؤاد شهاب الى جوار ربّه راضياً مرضياً أحببت بأن هناك من هو أولى مني بذلك ممّن رافقوا الرئيس وعاشوا فترة حكمه آناء الليل وأطراف النهار.

وعندما أصروا عليّ لتكون الكلمة عن منجزات الفقيد الغالي، اعتبرت ان هذا تشريف لي أجزم بأنه الأبرز في تاريخ حياتي.

ذلك ان الكلام عن المرحوم الرئيس فؤاد شهاب، الرئيس المجردّ، الصادق، الشريف، النبيل، المتواضع، المتسامح، النادر في إيثاره وخصاله ومزاياه، ومقاصده النبيلة، هو شرف ما بعده شرف.

أيها السيدات والسادة،

ليس من حقي ان أتكلّم عن مواقفه السياسية الباسلة الخالدة، فهذه متروكة لصحابته وأصدقائه، ورفاق دربه.

ومع ذلك فإنني سألمح الى مواقف لفخامته لا تنتسى في هذا المجال:

- من منا ينسى وقفته المصيرية ليلة 18 أيلول عام 1952 يوم طلب اليه فخامة رئيس الجمهورية آنذاك ان يقيم مظاهرة بعد ثلاثة ايام متوالية من الاضراب، فتردّد إن لم أقل رفض، ممّا اضطر فخامة الرئيس الى تقديم استقالته فوراً، على الرغم من رفع عريضة خطية داعمة له وقّعها خمسة وخمسون نائباً في مقابل عريضة موقّعة من احد عشر نائباً تطالبه بالاستقالة، ومع ذلك فقد استقال فخامة الرئيس وكلف المرحوم فؤاد شهاب بتشكيل حكومة تشرف على الانتخابات لاختيار رئيس جديد للجمهورية.

- من منّا ينسى وقفته المصيرية يوم طلب منه في 1957/1/3، وكان يومها وزيراً للدفاع الوطني، ان يقصف العشائر في البقاع الشمالي، فاستقال فوراً من وزارة الدفاع، وحال بذلك دون تنفيذ هذا القصف.

- من منّا ينسى تردده في قبول انتخابه رئيساً للجمهورية في عام 1958 لو لم يقتنع ذاتياً بأن انتخابه هو الحل الأوحى لإنقاذ لبنان.

- من منّا ينسى استقالته في 20 تموز 1960 من رئاسة الجمهورية في وقت كان الشعب ينتظر استقالة الحكومة التي كان يرأسها دولة الرئيس المرحوم أحمد الداعوق بعد إجرائها الانتخابات النيابية في تلك السنة، فكان ان قامت قيامة لبنان شعباً ونواباً، وأقدم النواب، مؤيدين وأخصاماً، على حرق الاستقالة في وضح النهار في قصر الذوق.

- من منّا ينسى موقفه من محاولة الانقلاب التي حصلت ليلة عيد رأس السنة عام 1961، وفشل ذلك الانقلاب، ولوحق من لوحق، وحوكم من حوكم، فهل أراق المرحوم الرئيس فؤاد شهاب نقطة دم واحدة ممن حكموا بالإعدام في محاكمة فريدة من نوعها في تاريخ لبنان ترأسها يومها أطال الله عمره، القاضي الأستاذ اميل ابي خير، ام ان المرحوم فؤاد شهاب لجأ الى تخفيف حكم الاعدام الى ما هو أخف.

أيها السيدات والسادة،

دعوني أعود بعد هذا العرض السريع الى انجازات المرحوم الرئيس فؤاد شهاب في بناء دولة المؤسسات والقانون.

لقد كانت فاتحة عهده، ليس كما يتصور البعض إصدار مائة واثنين وستين مرسوماً اشتراعياً: منها ثمانون في الفترة من 1958/12/16 الى 10 حزيران 1959 والباقي كله في ليلة واحدة هي 12 حزيران 1959.

لا، لقد سبق ذلك خطة موجزة للإصلاح الإداري تتلخص في اربع صفحات احتواها المرسوم رقم 193 تاريخ 1958/12/6، اي بعد اقل من شهرين ونصف على تسلمه رئاسة البلاد،

وينص هذا المرسوم باختصار على ما يلي:

أولاً: المهام والمسؤوليات:

- تحديد مهام كل موظف، وكل وحدة إدارية، وكل إدارة عامة.
- إعادة تقسيم الوحدات الإدارية على اساس المهام المطلوبة منها، وتأمين الانسجام المطلوب بين مختلف هذه الوحدات والقضاء على تضارب الصلاحيات وتشابكها.
- تحديد مسؤولية الموظفين من جميع الفئات.

- توسيع صلاحيات الرؤساء المسؤولين مباشرة عن العمل، وحملهم على الاضطلاع بها، وإعفاء كبار الموظفين من أعباء الأوراق والمعاملات والشكليات.

ثانياً: المعاملات:

- إلغاء المعاملات التي لا لزوم لها.
- تبسيط الأساليب الادارية وتوحيدها.
- تحديد المهل التي يجب ان ينجز فيها الموظف المعاملات الموكولة اليه.
- ايجاد لا مركزية واسعة تساعد على إتمام المعاملة في أقرب محل ممكن من مركز إقامة المواطن.

ثالثاً: وسائل تنفيذ المهام:

- درس إمكانيات العمل في كل وحدة إدارية بغية القضاء على الصعوبات التي قد تعترض التنفيذ، وتمكين الوحدة من تأدية مهمتها على الوجه الأكمل وبأقل كلفة ممكنة.
- فرض استعمال أنواع موحدة من ادوات العمل (مفروشات، آلات، مطبوعات، سجلات، أوراق) في جميع الوحدات، وتزويدها بوسائل عمل آلية كلما كان ذلك ممكناً.
- تنظيم حفظ الاوراق على أسس حديثة.

رابعاً: مراقبة التنفيذ:

- ايجاد رقابة دائمة من الرئيس على المرؤوس في جميع أطوار التنفيذ.
- جعل ممثل الحكومة في كل منطقة ادارية مسؤولاً عن حسن سير الأعمال وعن تنسيقها في جميع دوائر الدولة الموجودة في منطقة، وذلك دون التعرّض للناحية الفنية من العمل.
- فرض رقابة فعالة على المصالح المستقلة، وذلك دون إفساد مبدأ هذا الاستقلال.
- تعزيز التفقيش في جميع الإدارات العامة، وتوجيه عمله، ليس فقط نحو البحث عن المخالفة ومعاقبة مرتكبها، بل ايضاً نحو تحسين سير العمل.

خامساً: الوظائف والموظفون:

- إلغاء الوظائف غير الضرورية، والنظر في إمكان تحسين أوضاع الموظفين الباقين.
- إبعاد المداخلات السياسية او أي ضغط آخر عن الموظفين.
- ايجاد معهد وطني للادارة يعنى أولاً بإعطاء الموظفين الموجودين في الخدمة ثقافة ادارية عامة، وتدريبهم عملياً على المهام الملقاة على عاتقهم، وثانياً بتخريج أشخاص أكفاء، لإشغال بعض الوظائف الرئيسية التي يتوقف عليها حسن سير الإدارة.

- إيجاد هيئة مستقلة تدعى "مجلس الخدمة المدنية" تعنى بجميع شؤون الموظفين وبالاطلاع الدائم على سير الإدارة بغية اقتراح ما يؤول الى تحسينه.
- واختتم المرسوم المذكور بالنص صراحة في المادة الثامنة منه على ما يلي:
- ترفع الهيئة المركزية الى رئيس مجلس الوزراء اقتراحاتها في شأن الاصلاح مستندة فيها:
- الى المعلومات والاقتراحات التي تقدمها لها لجان العمل.
- الى الآراء التي تبديها النقابات والهيئات والجمعيات المهنية المختصة.
- الى آراء الخبراء اللبنانيين والأجانب الذين تستعين بهم، على ان يقترن اختيار الاجانب منهم بموافقة مجلس الوزراء.
- الى الاساليب المعمول بها في البلدان الاخرى بمقدار ما تكون قابلة التطبيق في لبنان.

وتجدر الإشارة الى ان المرحوم الرئيس فؤاد شهاب، قبل ان يخطو خطوة واحدة في درب الاصلاح الاداري، خاطب النواب صراحة في جلسة قسم اليمين الدستوري في المجلس النيابي في 23 ايلول 1958 بأن "الضرورة الاساسية الملحة لبناء الدولة بناء سليماً لم تتجل يوماً كما تجلّت في هذه الفترة الدامية الاخيرة. ولم يبق مناص من إقامة الدولة على أسس وقواعد ومقاييس مستمدة من تصميم النخبة، ومصلحة الشعب، وطموح الوطن". ثم أضاف بأنه "لا بدّ من ان يطمئن المواطن الى تجرّد الحاكم، وعدل القاضي، وامانة الموظف، ولا بدّ من ان يكون للحكم فيها كل هيئته، وللقانون كل سلطته، ولحق الفرد والجماعة كل حرمة".

قال هذا الكلام عام 1958، ثم ما لبث ان اضاف اليه بعد نحو شهرين من تقديم استقالته في 20 تموز عام 1960، بأن "كل إصلاح لأجهزة الدولة يبقى محدود النفع ولا اقول سطحياً وتافهاً، ان لم ترافقه جنباً الى جنب عملية إصلاح اجتماعي شامل".

ويجب الاعتراف هنا بأنه قدرّ للرئيس فؤاد شهاب ان يشاركه مسؤولية السلطة التنفيذية في تلك المرحلة رئيس حكومة، هو دولة الرئيس المرحوم رشيد كرامي، وافقه الرأي في كل ما ارتأى، وتكفلّ بتهيئة الأجواء، والمناخات الملائمة لمطلب الاصلاح المجتمعي الشامل، من خلال استقرار حكومي ندر ان عرف لبنان له مثيلاً، وتضامن وزاري كان الضامن لهذا الاستقرار الذي يجمع الكلّ على انه المناخ السياسي الملح، والمطلب العلمي الذي لا نزاع فيه، لنجاح أية عملية إصلاح.

ومع ان بيان حكومة الرئيس رشيد كرامي الأول بعد أحداث عام 1958 قد جاء مقتضباً جداً حيث لم يغدق الوعود، ولا الالتزامات، وإنما أشار صراحة الى ما كان قد وعد به الرئيس شهاب في بيان قسمه من ان "الضرورة الأساسية الملحة لبناء الدولة بناءً سليماً لم تتجل يوماً كما تجلّت في هذه الفترة الدامية الأخيرة، ولم يبق مناص من إقامة الدولة على أسس وقواعد ومقاييس مستمدة من تصميم النخبة

ومصلحة الشعب، وطموح المواطن...". وأنه "لا بدّ من ان يطمئن المواطن الى تجرّد الحاكم، وعدل القاضي وامانة الموظف".

رغم هذه الإشارة الوجيزة جداً في البيان الوزاري لحكومة تلت أول حكومة عاشت اياماً معدودات في أعقاب تلك الأحداث، فإن التجربة الاصلاحية عام 1958 كانت على قدر طموحات اللبنانيين ان لم نقل أكثر.

يكفي أنها حققت انجازات لا تعدّ ولا تحصى اكتفي هنا بالإشارة الى أبرزها:

1- ففي حقل بناء جهاز الدولة المركزي:

استقرّ هذا الجهاز منذ 12 حزيران 1959 على أربع عشرة وزارة تعتبر الوزارات الأساسية التي لا غنى عنها لتوزيع نشاط الدولة.

2- وفي حقل تنظيم هذا الجهاز:

بوشرت أول عملية تنظيمية انتهت في أواخر عام 1959، وتبين ان بعضها كان يستوجب إعادة النظر به بسبب ضيق الوقت الذي خصّ لهذه العملية، فكان ان تمّ ذلك في مهلة استغرقت سنتين وانتهت في 1961/12/30 لتتشكّل اكبر عملية تنظيمية شهدتها الإدارة اللبنانية في تاريخها، هذه العملية التنظيمية التي ما زلنا نعمل بموجبها حتى اليوم.

3- وفي مجال حسن اختيار العنصر البشري:

وضع في حزيران عام 1959 النظام العام للموظفين الذي ما زال ساري المفعول حتى اليوم، رغم انه ألغي في مرحلة ما، في عامي 1983-1984 حتى آذار عام 1985، حيث أعيد العمل به ثانية بعد ان تبين انه لا يزال هو الاصلح والأفضل.

هذا النظام الذي يكفل اختيار الموظف على أساس الجدارة والاستحقاق تطبيقاً لأحكام المادة 12 من الدستور اللبناني الصادر في 23 أيار 1926 والتي تنصّ على انه "لكل لبناني الحق في تولّي الوظائف العامة لا ميزة لأحدٍ على الآخر إلا من حيث الاستحقاق والجدارة حسب الشروط التي ينص عليها القانون".

والذي يكفل أيضاً التوازن بين الثواب والعقاب، والتوازن بين الحقوق والواجبات وتفعيل المسؤولية المسلكية الى أبعد الحدود.

4- وفي مجال إعداد الموظف وتدريبه:

تحقّق أول إنجاز من نوعه من حيث الشمول والاختصاص من خلال إنشاء المعهد الوطني للإدارة والإنماء. هذا المعهد الذي الغيت لصالحه بالإسم كل المعاهد الاخرى التي كانت قائمة في تلك المرحلة ولا سيما معهد الإدارة والمال ومعهد التدريب على الانماء، وارتبط المعهد الجديد بمجلس الخدمة

المدنية، وعهد اليه بمهمة اعداد العنصر البشري على مستوى الوظيفة العليا والوسطى ومتابعة وتدريب الموظف اينما وجد في الهرم الاداري واستمرار تزويده وإغناؤه بالمعارف المستجدة.

5- وفي مجال تأمين الرقابة الفاعلة:

أحدث لأول مرة عام 1959 مجلس مستقل للخدمة المدنية بعد ان كان أنشئ غير مستقل في عام 1954 إثر خلاف عنيف بين مجلس التصميم والإنماء الاقتصادي الذي كان قائماً في تلك المرحلة وبين خبير يدعى كلبرستون ولم يسمع احد عام 1954 بذلك المجلس غير المستقل، كذلك أنشئ التفتيش المركزي، وأعيد تنظيم ديوان المحاسبة عام 1959 انطلاقاً من فناعة تتلخص بأن تفعيل الإدارة وضبط أعمالها ومراقبة صرف اموالها والموظفين فيها ولا سيما شؤونهم الذاتية وادائهم اليومي يتطلب مراقبة فاعلة مستمرة ومستقلة الى جانب الرقابة الذاتية من الإدارة ذاتها.

6- وفي مجال اللامركزية الاقليمية:

وضع تشريع جديد للبلديات هو القانون رقم 63/29 الذي جرت في ظله أول وآخر انتخابات بلدية عرفها لبنان بأسره، وظل هذا التشريع معمولاً به حتى عام 1977.

7- وفي مجال التنظيم الاداري:

جرى وضع نظام جديد يضمن تفعيل اللاحصرية على شكل يؤمن خدمات المواطن في اقرب مكان ممكن وأقل نفقة ممكنة وأبرز ما انشئ فيه مجلس للمحافظة مؤلف على قاعدة رسمية من جهة، وشعبية من جهة ثانية.

8- وفي مجال تنظيم الادارات العامة:

وضع نظام جديد ايضاً حدد علاقة الرؤساء بالمرووسين انطلاقاً من رأس الهرم في الوزارة اي الوزير حتى القاعدة، وحدد مهامهم، وكيفية تبادل الاتصالات في ما بينهم، ولم يغفل عن تفعيل اللاحصرية مرة أخرى من خلال التشديد على عملية تفويض الصلاحية التي يعلق عليها علماء الإدارة اليوم الكثير من الأهمية والذي نصّ على وجوب تفعيلها أول مؤتمر للادارة العامة على مستوى العالم العربي كله عقد في دمشق عام 1957.

9- وفي مجال التخطيط:

أعيد تنظيم وزارة التصميم العام التي كانت قد أحدثت عام 1954 بتوصية من مجلس التصميم والإنماء الاقتصادي. هذه الوزارة التي لعبت في الستينات دوراً أساسياً في وضع خطة شاملة سميت بالخطة الخماسية كان لبعثة "إرفد" بقيادة الأب لوبريه، الدور الأهم في وضعها، ومن خلالها انتشرت الفرق المتعددة النشاطات تعمل في رصد حاجات إنماء المناطق، كما ساهمت هذه الوزارة في خطة ثانية في السبعينات اجهزتها الأحداث التي بدأت في منتصف هذا العقد.

10- وفي مجال اللامركزية المرفقية:

وضع لأول مرة في لبنان النظام العام للمؤسسات العامة، أي المرسوم الاشتراعي رقم 59/150، هذا النظام الذي على رغم تعدّد الأنظمة التي تلتها، لا يزال هو الأفضل، حيث يكفي فيه انه جمع بين شتات المصالح المستقلة التي سبقته، وأعطى حصانة معقولة للقائمين على امور المؤسسة العامة من مجالس الإدارة، الى المديرين العامين، والمديرين فيها، وأخضع هذه المؤسسات لرقابة واعية لا إفراط فيها ولا تفريط، وربط ذلك كله بتنسيق دقيق مع وزارة التصميم العام التي كانت تتولى شؤون التخطيط المركزي.

ويقتضي التذكير هنا بأن التنمية الاجتماعية انطلقت في البداية عبر مصلحة الانعاش الاجتماعي التي أنشئت في 12 حزيران عام 1959 وانطلقت في عملها الانمائي من الابدع والأقصى والنائي وصولاً الى الأقرب والأدنى.

11- وفي مجال حماية النقد الوطني:

ودوره في ترسيخ الاقتصاد اللبناني على أسس ثابتة كان الانجاز الأهم في أول آب من عام 1963 من خلال إنشاء مصرف لبنان، هذه المؤسسة التي اريد لها، واستطاعت فعلاً، ان تتخذ الليرة اللبنانية في أصعب الظروف على الاطلاق، وأعني بها الحرب المستعرة على مدى سبعة عشر عاماً.

12- وفي مجال التعاطي مع الشؤون الاجتماعية وضمانها:

لم تغفل الحركة الاصلاحية عام 1958 عن ان تستدرك وبالتحديد في 26 أيلول من عام 1963 ايضاً إنشاء صندوق وطني للضمان الاجتماعي يرعى العامل اللبناني في أربعة مجالات أساسية: مجال نهاية الخدمة، ومجال ضمان المرض والامومة، ومجال ضمان التعويض العائلي، ومجال تعويض طوارئ العمل والامراض المهنية، هذه المجالات التي انطلقت تعمل تباعاً في الفروع الثلاثة باستثناء الفرع الاخير الذي ما زال حتى الآن ينتظر التفعيل.

وحمل الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي الذي أنشأه الرئيس المرحوم فؤاد شهاب منذ تأسيسه، وقبل ان ينشأ مكتب خاص للأدوية لأول مرة في 13/5/1972، مهمة استيراد الادوية بقصد تأمينها للمواطن بأقل نفقة ممكنة، هذه المهمة التي لم يكتب لها النجاح حتى الآن، رغم انه راح ضحيتها وزير صحة معروف بعلمه ونظافة كفه واخلاصه، فقدّم استقالته في اوائل السبعينات عندما حيل بينه وبين تحقيق هذا الانجاز الذي كنا ولا نزال بأمسّ الحاجة اليه.

13- وفي مجال الانماء والاعمار والبنى التحتية وتأمين خدمات المرافق العامة:

انشىء مجلس لتنفيذ المشاريع الانشائية في حزيران عام 1961 على اتساع لبنان كله، كما انشىء مجلس تنفيذ المشاريع الكبرى لمدينة بيروت على مستوى بيروت وحدها في شباط عام 1963،

وانشئ مشروع الخمس سنوات لشق الاتوسترادات والطرق بالتعاون مع وزارة الأشغال العامة،
وانشئ ايضاً المشروع الاخضر في ايلول عام 1963 وعهد اليه بمهمة استصلاح الاراضي.
وأعيد إنشاء مصلحة كهرباء لبنان عام 1964 بعد ان تمّ فصل سكك حديد الدولة اللبنانية والنقل
المشترك عنها في العام ذاته، وتمّ تعميم الكهرباء والماء على مختلف مدن لبنان، وبلداته، وقراه، وفي
استدراك لاحق أعيد تنظيم المصالح المستقلة في معظمها بموجب القانون المنفذ بالمرسوم رقم
15703 تاريخ 1964/3/6 حيث ألزمت هذه المؤسسات جميعها بأن تضع ملاكات عددية لها تحدد
أعداد المستخدمين فيها وتكفل اختيار افضل الكفاءات والطاقت لإدارة هذه المرافق التي تتولاها، بدل
حشد آلاف الأجراء والمتعاقدين فيها، وهو الأمر الذي لم ينفذ حتى تاريخه في معظم المؤسسات العامة
الكبرى رغم انه مطلوب بقوة القانون منذ أربعة وثلاثين عاماً.

14- وفي مجال الثقافة والمعارف والتعليم:

دعمت حركة الاصلاح الاداري لعام 1958 التعليم الرسمي في كافة مراحلہ دعماً لم يعرفه لبنان من
قبل، من المستوى الابتدائي الى المتوسط الى الثانوي، الى الجامعي، الأمر الذي أدى الى حجب التعليم
الرسمي ما عداه من مؤسسات، واضطرت هذه المؤسسات الى المطالبة "بكونا معينة" لإمكانية بقائها
واستمرارها.

"فعل فخامة الرئيس المرحوم فؤاد شهاب هذا كلّه، ايها السيدات والسادة، وهذا هو الأهمّ، من ضمن
سياسة مالية رشيدة لا إفراط فيها ولا تفریط وكأنه يعمل بموجب قوله تعالى "ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً".

وغنيّ عن القول ان انجازات بهذا الشمول، وبهذه الجدية، لا تحتاج الى تقويم، ذلك انه كان من
الطبيعي ان يشهد لبنان في عقد الستينات وحتى في بداية السبعينات مرحلة ازدهاره الاداري بكلّ ما
في هذه الكلمة من معنى، حتى ان البعض وصف حركة اصلاح عام 1958-1959 بأنها كانت من
أغنى التجارب الاصلاحية العربية وغير العربية على الاطلاق.

ومردّ هذا القول جملة أسباب:

- فالتجربة الإصلاحية الشهابية هذه قد جاءت شاملة بحيث لم تترك حقلاً إلا وطالته.
- وهي حظيت بدعم سياسي مستقر من خلال قناعة الحاكمين بها، هذه القناعة التي لم ينفرد عقدها
في عهده كما انفرد في عهد غيره.
- وهي حظيت بمواكبة نخبة من الشباب المتقنين والأحزاب والنوادي والجمعيات عرفت بها،
وبمقاصدها، وبأهدافها النبيلة على مدى سنوات طوال.

- وهي قد حظيت بدعم شعبي تجلّى في قناعة هذا الشعب بدولة المؤسسات، وليس بدولة الفرد الواحد، او النائب الواحد، او الحزب الواحد، لأنها وحدها الكفيلة بتحقيق رغباته وتلبية حاجاته.
- وهي قد حظيت باندفاع وظيفي ذاتي نابع من قناعة الموظفين انفسهم بأن بناء مثل هذه الدولة المؤسسة هو الذي يحررهم من الارتهان السياسي لفرد او لحزب او لطائفة، او لمذهب.

أيها الاخوة الحضور،

قد يتساءل البعض، هل طبّق مضمون هذه التشريعات والأنظمة التي أشرت اليها باقتضاب؟ وبالتالي هل تحققت الانجازات التي تضمنتها؟

الجواب، أجل، لقد تحققت في غالبيتها العظمى وخاصة في السنوات الاربع من بداية الستينات على ما يعرفه الخالص من أبناء هذا الوطن الذين عايشوا تلك المرحلة، وذلك على الصعيد الاداري، والمالي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، والانمائي بكافة أوجهه.

وقد يأتي السؤال أكثر إلحاحاً من جانب اللبنانيين، أين نحن الآن من تلك الانجازات؟؟

الجواب ايها الاخوة، لن يأتي مني ولا من غيري، لا اليوم، ولا غداً، كما لم يأت بالأمس القريب او البعيد.

بدليل أول مفاده انه عشية ذكرى الاستقلال عام 1963 صارح فخامة الرئيس المرحوم فؤاد شهاب اللبنانيين حرفياً بما يلي:

"تمهيداً لقيام الدولة الحديثة التي تعي مسؤوليتها، في عالم تهزّ مجتمعاته الأفكار الثورية، ويحفل بالتطورات الشاملة السريعة، كان أول ما يتوجب، لتمكين الحكم من النهوض بمهامه الكبيرة، المبادرة الى عمل جذري يبدل أسس الخدمة العامة، باعتبارها أداة الحكم، وعليها تتوقف الى حد بعيد، قدرته وفعاليتها.

وان تحرير الخدمة العامة، وجعلها على اساس الكفاءة، ووضعها باللامركزية، في متناول كل مواطن، قد اتجه بها وجهتها السليمة.

فالإدارة هي في خدمة الجميع، وولاء الموظف هو للوطن والقانون، وهذا الوجه الجديد للإدارة، الى جانب ما يراه من كرامة الموظف وإعداده، ومصالحة المواطن، يسهم في تطوير ذهنية العمل السياسي في لبنان فتصبح السياسة دراسة ورؤيا، وتوجيهاً، ومسؤولية، وتمثيلاً، ورقابة، وضميراً، ووطنية، وتتخلص من أثقال الوساطة والاستعلاء على القانون.

اننا نؤمن بأن لبنان، بنظامه الديمقراطي، وبوحدة بنيته، وبإدارة مجددة، يملك من العناصر ما يبرر طموحه، ليشهد توطد الدولة الحديثة الراقية، الجديرة بتأمين الخير والمجد للبنان".

وبدليل ثانٍ يتلخّص في ان فخامة الرئيس المرحوم فؤاد شهاب بنفسه عندما فقد الأمل بإمكانية إنقاذ لبنان ممّا يعانیه، صارع اللبنانيين في 5 آب 1970 في بيان عزوفه عن الترشيح ثانية الى رئاسة الجمهورية بما يلي:

"ان المؤسسات اللبنانية والأصول التقليدية المتبعة في العمل لم تعد في اعتقادي تشكل أداة صالحة للنهوض بلبنان وفقاً لما تفرضه السبعينات في جميع الميادين، ذلك ان مؤسساتنا التي تجاوزتها الأنظمة الحديثة في كثير من النواحي سعياً وراء فعالية الحكم، وقوانيننا الانتخابية التي فرضتها أحداث عابرة ومؤقتة، ونظامنا الاقتصادي الذي يسهّل سوء تطبيقه قيام الاحتكارات، كل ذلك لا يفسح في المجال للقيام بعمل جدي على الصعيد الوطني".

قال الرئيس المرحوم فؤاد شهاب هذا الكلام قبل اندلاع الحرب والحوادث في لبنان بخمسة اعوام.

وأشهد بالله ان في قوله هذا تنبؤاً بهول ما سيحدث، وقد حدث فعلاً.

فكان بالتالي صادقاً مخلصاً ليس في كل ما خطط له ونفذه من اصلاح شامل فحسب، وانما حتى فيما تنبأ به،

وباختصار كليّ لم يكن فخامة المرحوم الرئيس فؤاد شهاب قائداً ورئيساً لشعب فحسب وإنما كان شعباً في قائد ورئيس بدليل انه جمع شتات اللبنانيين كلهم بعد حرب ضروس من خلال شعاره الذي طرحه منذ أول يوم في ولايته "لا غالب ولا مغلوب".

فهل نحن قادرون اليوم على وعي ما نبّه اليه فقيدنا الكبير الذي نحیی ذكره اليوم؟

من كانت هكذا خصاله ومزاياه وانجازاته يتربع اليوم الى جوار ربّه في جنّات عدن عرضها السموات والارض، جنّات تجري من تحتها الأنهار،

أمّا نحن فليس لنا إلا ان نناشد الخالق سبحانه وتعالى رحماك اللهم رحماك، ونرجو ان تهیئ لنا من امرنا رشداً كي نعید قراءة ما حذر منه وتنبأ به فخامة المرحوم الرئيس فؤاد شهاب، علّ ذلك يعيدنا الى جادة الصواب.

كلمة السفير الدكتور بطرس ديب

الثورية في نهج الرئيس شهاب

أيها الحفل الكريم،

الميثاق الوطني، الوحدة الوطنية، الإصلاح الإداري، الإصلاح العدلي، العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص، الضمان الاجتماعي، المالية ومصرف لبنان، الإنعاش الاجتماعي، الجيش وقوى الأمن الداخلي، التربية والتعليم، البنية التحتية في شتى شعبها، حقوق الانسان... ولن أوصل التعداد كي لا أطيل - كل ذلك وغيره مما لا نذكر، معالم زها بها نهج طويل لا تنفصم مسيرته عن مسار تاريخ لبنان.

وكان الكل يدور في فلك "الكتاب" (شو يقول لكتاب؟). الكل يركز على الكتاب، يقوى بالكتاب، وبقوى الكتاب بترجمته وقائع محسوسة حية، تشهد بحقيقة التنفيذ، وبالتالي بإمكانيته، فالنهج الشامل المتكامل لم يكن مجرد خيال كما خشي البعض. والكتاب المعني هو القانون، والقانون أداة لإحقاق الحق، والحق يعلو ولا يعلى عليه. من ذلك كانت إنطلاقة الثورة الشهابية، وبه كانت فعاليتها. والثورة ليست بالضرورة حمراء، بل هي أولاً، وأصلاً، انقلاب في المفاهيم. وأول ما أراده الرئيس شهاب، هو تعميق تفهم القانون وتقييم مفهومه، تمهيداً لترسيخ دولة القانون، دعماً لكيان الدولة بالذات وإعلاء لمبادئ الحرية والمساواة، فيتحرر الفرد والمجموعة ويتساوى الجميع في ميزان العدل بدلاً من ان يخضعوا لاستبداد الأهواء والنزوات.

وكما ان الإصلاح يكون في النفوس قبل النصوص، كذلك ديمومة الإصلاح لا تضمن إلا اذا عاش الإصلاح المعنيون به. بتلك المبادئ - المسلمات التزمت منظمة الأونسكو، وهدفها الأساسي مكافحة الحروب، يوم تبنّت مبدأ إخماد فكرة الحرب في أذهان الناس توطئة لإخماد نار الحرب بين الشعوب. من هنا جاءت عناية الرئيس شهاب الكبرى بالتربية والإرشاد، وقد سبق له ان مارسها وهو يبني الجيش اللبناني، تلك المؤسسة التي غدت نموذجاً بالتنظيم، ومدرسة بالوطنية. وفي ضوء ذلك يأتي موقفه، ويفهم يوم طلب اليه وهو قائد للجيش، ان يضرب الدنادشة لإرغامهم على احترام القانون، فقال: علّموهم ما هو القانون قبل ان تطلبوا اليهم ان يحترموه.

وشاء فؤاد شهاب لمؤسسته العسكرية امتداداً في سائر حقول الدولة، يثور المجتمع والفرد، يحفظ الكرامات وحقوق الانسان وفي طليعتها الحرية التي عليها قام لبنان.

لكنه كان يخشى على الحرية من جنون أبنائها بها، خشية أفلاطون على الديمقراطية الجنوح الى الفوضى. وبين حكيم اليونان ورئيس لبنان، قولة المفكر الفرنسي Bossuet: "حيث كل يعمل ما يشاء،

لا أحد يصل الى ما يشاء". لذلك جاءت ثورة الرئيس شهاب ثورتين: إنكفاء روح الحرية في الجميع، وثورة ثانية مضادة هدفها الحؤول دون استحالة الأولى أداة فوضى.

كان عسكرياً بمزاجه، وتفكيره وطرق عمله. لذا عزم على إجراء تبديل ثوري بطرق العمل في الإدارات العامة المدنية. وربما بالغ في قلة تقديره تلك الطرق وفي قلة ثقته بها وبيع بعض القيمين عليها. "وعسى ان تكرر هو شيئاً وهو خير لكم". فقد زاده از دراؤه تلك الطرق عزمًا على إصلاحها و"عسكرتها". ومن ميزات الخطط العسكرية التحسب في كل أمر، لاحتمالات عدة: اذا حصل هذا فماذا؟ واذا طرأ ذلك فكيف؟

ذات يوم، كنا نناقش في حضوره موازنة وزارة الإعلام واسمها يومئذٍ "وزارة الأنباء"، وكنت مديرها العام. وقد تضخمت تلك الموازنة لأسباب منها ان محطة الإرسال وحدها ارتفعت قوتها من 15 كيلوات الى مئة، ولأن مديريات ومصالح جديدة كبيرة، لم تكن موجودة من قبل، قد انشئت بطلب من الرئيس شهاب شخصياً وتوجيه منه. فسألني بلهجة المعلم: "هل تحسبت لكل الأمور وزنتها بدقة؟" أجبت بنعم. بدت عليه ملامح الاستغراب والشك فقال: "لازم تفترض عدة احتمالات وتقول: اذا عطبوني مليون شو بعمل، واذا عطبوني أقل او أكثر شو؟ هل قلت هالشي؟" أجبت: نعم. فتابع الامتحان: "طيب اذا هلا قتلناك بعطيك كموازنة إجمالية لكل الوزارة مئة ألف ليرة لبنانية وبس، شو بتعمل؟" قلت: "منسكّر سيدنا". وارتاح للجواب لأنه شعر ان فيه شيئاً من مدرسته وابتسم.

وتتالت مراسيم الإصلاح الجذري الشامل، وقد شرحها من تقدمني على أحسن وجه. وحديث الإصلاح قصة قديمة. بدأ بعيد عام 1926، وهو عام قيام الجمهورية بالذات، حتى كأن الفساد ووجوب إصلاحه ولدا مع الدولة. وعاد القول بالإصلاح غير مرة في عهد الاستقلال، وقامت محاولات مشكورة لا يجوز انتقاص قيمتها. غير ان الاصلاحات الشهابية تميّزت بشموليتها، والشمولية فرضت منهاجاً متكاملًا، وهذا المنهج خلق فلسفة، وهذه الفلسفة انبثق عنها جوّ من فئة المقدمات للثورات عبر التاريخ.

والى الثورة في المفهوم الموضوعي للإصلاح، ثورة في مفهومه النفساني ايضاً، وقد سبق وأشرنا اليه. وقد أعلن عنه الرئيس شهاب، منذ اعتلائه سدة الحكم في جلسة قسم اليمين الدستورية، حيث أكد على ضرورة ان يطمئن المواطن الى أمانة الموظف وعدل القاضي. فالمواطنون ليسوا قطيعاً من القاصرين يسوقهم الحاكم وكأنه أدرى منهم بمصالحهم وحتى بمشاعرهم، لمجرد حمله عصا السلطان. المواطنون هم اصحاب الشأن، وفي مجموعهم تتجسد السيادة الوطنية. هم راشدون، ولو فطن الحاكم لقرأ في ردود فعلهم على أفعاله خير مؤشر لتخمين حكمه وتصويبه عند الاقتضاء.

كان لا بدّ من ثورة نفسية تحرّر المواطن من رسوبيات الماضي، وإقامة جسور بينه وبين الدولة تحلّ محلّ الوحشية التي نشهد والتي يقاسيها البلد. فالدولة في نظر اللبنانيين أشبه بالجسم الغريب، ولعلّ في جملة العوامل المكوّنة لهذا الشعور ان لفظة دولة لم تكن، من حيث تاريخها، جزءاً حميماً من الكيان اللبناني. فأيام العثمانيين كانت "الدولة العليّة" تناصب إمارتنا العداء. وفي عهد الانتداب، كنّا نرى في الدولة المنتدبة انتقاصاً لجمهوريتنا. لم يكن إذاً ثمة ألفة بين اللبناني ولفظة الدولة، وبالتالي بينه وبين فكرتها. فكان من أولى الأولويات إزالة تلك الوحشية، ومن شروط النجاح القيام بثورة تحريرية تقيم للدولة مفهوماً جديداً سليماً.

ومن شروط نجاح الثورة مدّها بالوسائل والأدوات. من ذلك جاء، في طلائع موكب الاصلاح، مجلس الخدمة المدنية، والتفتيش المركزي وما اليهما. فما فرّضُ المباريات، والأعداد، ومراقبة حسن سير العمل، وتقرير التدرّج على أسس الكفاية والسلوك وحدهما، أجل، ما ذلك إلاّ تحرير من اللجوء الى الوساطات، فالتبعية فالاستزلام. انها ثورة تحرير المواطن، وتأمين المساواة بين المواطنين.

ونجاح تلك الثورة هو من شروط تحقيق الوحدة الوطنية ايضاً. فعندما يشعر المواطنون، كلّ المواطنين، ان الدولة لهم، وانهم جزء منها وان ليس لأحد فيها أكثر ممّا لأخيه، عندما يكتمل الشعور بالتأخي، ويحصل الارتقاء طبيعياً من صعيد الطائفية الى صعيد الدولة. وكان فؤاد شهاب مدركاً طول الطريق ومشقاته، لذلك لم ينتظر تحقيق كلّ ذلك لكي يباشر الارتقاء المنشود، بل عمل على مختلف الصعد وشتى المجالات في آن معاً، لكن بتؤدّة، ساهراً بخاصة على تطمين كل طائفة الى حقوقها، بانتظار العدالة الشاملة التامة، مطبقاً القاعدة الفقهية القائلة "من استعجل الشيء قبل أوانه، عوقب بحرمانه"، ميرهنأ ان الحنكة في السياسة هي حقاً حاصل التلاقي بين مواهب شخص ومقتضيات ظرف.

وأكبّ فؤاد شهاب على الشؤون الزراعية، واستعان بكبار الخبراء العالميين، ومن أشهرهم الأب لوبره Lebret الذي كان له الفضل في التحذير من الاسترسال في الاتكال على القطاع الثالث وحده، اي قطاع الخدمات. وأبرز أهمية الزراعة، فكانت ثورة الانعاش الزراعي والاجتماعي، وكان أثرها الميمون في نفسية الفلاح ورفع معنوياته.

وكذلك قصة المصرف المركزي: انها ثورة تحرير النقد الوطني، وتعزيز الثقة به. ويمتاز النقد في لبنان بالإضافة الى دوره الاقتصادي، بأنه ثروة لا طائفية. كانوا يقولون: الليمون سني، الزيتون روم أرثوذكس، التبغ شيعي، الموز والكرز والتفاح ماروني، الخ... أما الليرة فلا طائفة لها. ولعلّ لا طائفية الليرة ممّا يفسّر احترام مبنى مصرف لبنان، ايام الأحداث، حتى في أشدّ الأيام جنوناً.

وفي دعم الليرة ايضاً، تدعيم للطبقة الوسطى، وهي المحرك العالمي، اقتصادياً وسياسياً وفكرياً، في تاريخ الأمم الحديث، وهي الهيكل العظمي في الجسم اللبناني، وقد ازددنا تحسباً بأهميتها بمقدار افتقادنا إياها اليوم.

الثورية في التفكير، والتنظير في التخطيط، لا يتناقضان والواقعية، بل هي شرط من شروط نجاحهما. كما ان ضبط الحرية لا يناقض جوهرها، بل هو يقينا من جماعها، وكأن الواقعية ميزة ثابتة في سياسة فؤاد شهاب ونظرته الى الأمور الداخلية.

ومن تجليات واقعيته، الانفتاح في سياسته الخارجية دون مركبات او عقد. كان يميل الى المعسكر الغربي، لأنه يرى في ذلك مصلحةً للبنان وانسجاماً مع تقاليده وشخصيته. لكنه لم يقطع مع المعسكر الشرقي.

وعلى الصعيد العربي، كان يفهم دور لبنان وسيطاً بين شقيقاته العربيات، سعياً الى خير الجميع، وكان الجميع يقدررون. ولم يكن يفهم ان يفتح لبنان على المأ وينغلق على الأقربين.

ومن الواقعية قبوله بممارسة صلاحياته الدستورية ممارسة واسعة، حتى ان البعض همّ باتهامه بالديكتاتورية مستفيداً من غمرة ثورة الإصلاح وتحت غطاءها.

هنا ينبغي التوضيح. الدكتاتورية أنواع، وهي، في أصلها الروماني، لا تعني الاستبداد، بل هي جمع صلاحيات متعددة في يد شخص فرد dictator، في الطرف العصيب، حيث ضغط الأحداث يتطلب مزيداً من السرعة في اتخاذ القرار.

ومن الدكتاتورية ايضاً ما يسمى بالمعنوية او الأدبية، وفيها يحلّ احترام المواطنين لرجل، وثقتهم به محلّ النصوص، فتخلق جواً عاماً يكون فيه طليق اليدين.

وذلك ما كتب لفؤاد شهاب. جاء في أعقاب أحداث 1958، بل جيء به ليوقفها ويزيل آثارها، فكان لا بد من ان يتدخل في الشاردة والواردة، فتجمعت الصلاحيات تلقائياً بين يديه. ومارسها بحكمة وبحكم ثقة الشعب به، فجاءت دكتاتوريته - فيما لو جازت العبارة - معنوية، لا قسرية استبدادية، وجاء حكم ذلك العسكري الصميم خير ضمان للديمقراطية!...

ثورية فؤاد شهاب مستغربة لأول وهلة وطبيعية في آن. مستغربة في رجل محافظ، متمسك بالنظام (بالكتاب)، بالكليات والتقاليد، أرسنراطي النسب والطبع.

وطبيعية من خلال تطلعاته البعيدة الرؤية، والتي كان لا بد لها ان تصطم بالكثير من التحفظ واحياناً بالرفض، شأنها شأن كل جديد، فكيف به ثورياً. غير ان تلك التطلعات لاقت بوجه العموم

قبولاً لدى النخبة والسواد. ومما ساعد على قبولها نزاهة صاحبها وثقة الناس به. والتاريخ حافل بالشواهد ومنها ما كان من أمر جورج واشنطن يوم عهد اليه بقيادة قوات الولايات المتحدة الأمريكية (واسمها يومئذ "المستعمرات الثلاث عشرة) النائرة على انكلترا.

كان الخيار بين جورج واشنطن الذي سينتخب رئيساً للجمهورية الفتية، وغيره ممن أبرزت الأحداث اسماءهم، وكان بينهم جنرالات، وإداريون، وعلماء... لكن، على صعيد الجدارة، بصورة إجمالية، كان جورج واشنطن أكثر من كان يوحي بالثقة لقيادة الثورة وفرض وجود الدولة.

احتفال إزاحة الستارة عن تمثال الرئيس فؤاد شهاب جونيّه - الأحد 7 تشرين الثاني 1999

بعد ربع قرن على رحيله، اجتمعوا في جونية، وتحديدًا في المجمع الذي يحمل اسمه، لتكريمه. سياسيون بينهم "شهابيون عتاق، ولو غاب بعض رموزهم أمثال الوزير السابق فؤاد بطرس وزملاء في المدرسة العسكرية و"النهج"، رجال دين وديبلوماسيون، شاركوا في حفل إزاحة الستارة عن تمثال الرئيس فؤاد شهاب بدعوة من لجنة تكريم شهاب وبلدية جونية وبمشاركة اتحاد بلديات كسروان - الفتوح.

"لقاء تذكّية الشهادة في وضع أسس الدولة الحديثة" كما وصفه رئيس الوزراء سليم الحص، وتحول مهرجاناً وطنياً عكسته تركيبة حضور "متعدّد" الطائفة والانتماء السياسي والحزبي، وطبعته مجموعة عوامل منها انه جاء بمثابة جردة عهد من تاريخ لبنان الحديث، تولّاه المتعاقبون على الكلام، كلّ من موقعه.

وقد توالى على الكلام كلّ من رئيس مجلس الوزراء سليم الحص ممثلاً رئيس الجمهورية العماد اميل لحود، رئيس بلدية جونية السيد عادل بو كرم، العميد الركن رامز منصور ممثلاً قائد الجيش، رئيس لجنة التكريم الوزير السابق جورج افرام، وكان عريف الحفلة السيد سهيل مطر.

من كلمة رئيس بلدية جونية السيد عادل بو كرم:

"...تأخرنا ربع قرن في تكريمك في قلب هذه المدينة التي فيها ترعرعت وأمضيت شبابك ورسمت معالم بناء جيشنا الأبوي ووضعت استراتيجيا دولة المؤسسات والقانون، دولة الحرية والديموقراطية والعدالة الاجتماعية".

ووصف الشهابية بأنها "قيمة حضارية وإنسانية ووطنية او صيغة من صيغ لقاء الأديان السماوية، معتبراً ان جونية التي تخوض اليوم معركة تطوّرها والحفاظ على تراثها وطبيعتها ودورها الثقافي والفكري والاقتصادي والسياحي على أبواب الألفية الثالثة، تكرّس بتكريمها الرئيس فؤاد شهاب وفاءً له وعرفانها بجميله وتقدّم شهادة للتاريخ ولأجيالنا الصاعدة عبر إنجازات هذا الرئيس المميّز".

ثم ألقى العميد الركن رامز منصور كلمة قائد الجيش، وجاء فيها:

"كانوا فتية من لبنان وسوريا تطوّعوا في فرقة الشرق في الجيش الفرنسي الذي احتلّ سوريا ولبنان عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى. انخرطوا في سلك الجندية واتخذوا منها مهنة، لكن قلوبهم

وعقولهم كانت تتجه في استمرار نحو الوطن، وكان حلمهم ان تكون بلادهم مستقلة عن الانتداب الفرنسي.

وظلّ هؤلاء يسعون الى تحقيق الحلم، فكانت المواجهات مع المستعمر وكانت الحالة الوطنية اللبنانية داخل فرقة الشرق وكان فؤاد شهاب طليع هؤلاء الضباط الذين تداعوا وتحركت فيهم الحمية الوطنية، وكانت لهم محطة مهمة في تاريخ الجيش والوطن. هنا على مقربة منّا في زوق مكاييل، وقع أربعون ضابطاً، منهم المقدم فؤاد شهاب والنقيب جميل لحود والملازم الأول اسكندر غانم والملازم جميل حسامي وثيقة تاريخية عاهدوا فيها الله والشرف ان لا يخدموا غير سلطات وطنهم وألاً يخضعوا لغير أوامرها، وربطوا استئناف مهماتهم العسكرية بالحصول على وعد واضح من سلطات الانتداب الفرنسي باستقلال لبنان.

وثبت هؤلاء الرجال على موقفهم بشجاعة، حتى كان لهم ما أرادوا. وقبل تحقيق الاستقلال شكلت القطع العسكرية اللبنانية المختلفة وحدة كبرى هي اللواء الخامس بقيادة العقيد فؤاد شهاب، وهكذا انضوى جميع العسكريين اللبنانيين تحت قيادة وطنية، لكنهم سعوا بقيادة فؤاد شهاب الى تحقيق جيش لبناني وطني.

وبعد نضال مرير ومفاوضات طويلة، تمّ إعلان الجيش اللبناني تحت كنف الدولة اللبنانية في الأول من آب 1945 بقيادة الزعيم فؤاد شهاب".

وأضاف: "كانت مسيرة طويلة وتحقق الحلم، لكن المتطلبات كانت كبيرة والتحديات كانت داهمة. فكان الامتحان الأول عام 1948 في حرب فلسطين، عندما انتقل اللواء فؤاد شهاب، قائد الجيش، الى الجنوب وقاد من على تلاله المعارك ضد العدو الاسرائيلي، وكانت معركة المالكية من المحطات البارزة في تاريخ جيشنا".

وشدّد على "حرص الرئيس الراحل على وحدة الجيش وقوته، فأضفى كمؤسس عقلية القانون والانضباط والتجرّد والنزاهة، حتى باتت هذه الصفات لصيقة بكل عسكري. كان همّه مصلحة الوطن وجعل الجيش رمز الوطن، حتى ان قسماً كبيراً من الناس لا يزال حتى الآن ينادي العسكري بـ "الوطن".

ولفت الى "ان الجيش اجتاز بقيادته استحقاقات خطيرة دهمت الوطن، منها عام 1952 حين لم تغرّه السلطة السياسية برئاسة الحكومة بل سرعان ما سلّم السلطة الى السياسيين وعاد الجيش الى ثكناته، وعام 1957 حافظ فؤاد شهاب على وحدة الجيش ووحدة البلاد، ورفض زجّه في النزاعات السياسية الداخلية، فكان ملاذاً لجأ اليه الجميع وأجمع المعنيون على اختياره لرئاسة البلاد انطلاقاً من نجاحه في

المحافظة على وحدتها. وما نجاح فؤاد شهاب بقيادة البلاد إلا نتيجة نجاحه في قيادة الجيش، فأرسى دعائم المؤسسات الأولى في الدولة اللبنانية".

وقال: "ان التاريخ يتجدد أمامنا. الرئيس فؤاد شهاب بدأ من الجنوب ومن مواجهة العدو الاسرائيلي والرئيس اميل لحود بدأ ايضاً من الجنوب ومن التصدي للعدو الاسرائيلي والعمل على تحرير أرضنا المحتلة في الجنوب ومن التصدي للعدو الاسرائيلي والعمل على تحرير أرضنا المحتلة في الجنوب والبقاع الغربي. واذا كان الجيش تأسس على يد الرئيس فؤاد شهاب وأبصر نور الاستقلال وحافظ عليه، فالرئيس اميل لحود هو الذي أرسى الدعائم الصلبة للجيش الوطني القوي الذي يشكل اليوم عموداً فقرياً للدولة وضمناً لأمن الوطن وسيادته وحارساً للاستقلال.

وعمل الاثنان على ضمان وحدة الجيش وترسيخ عقيدته الوطنية، ونحن اليوم نرى ان هذا الجيش بضباطه ورتبائه وأفراده يشتد تماسكاً واعياً دوره الوطني مدركاً الأخطار المتأتية من العدو الصهيوني الذي يحتلّ عزيزاً من أرضنا ويرتكب الاعتداءات يومياً ضد شعبنا ويبيت مخططات مشبوهة لتقويض وضرب ازدهارنا".

وتطرق الى "التآخي القائم بين الجيشين اللبناني والسوري لمواجهة اسرائيل"، مشدداً على دعم المقاومة وتوجه الى الحضور بالقول: "على مشارف انتهاء القرن، تحقق حلم الفتية. فبعدما كانوا يجهدون لتحقيق حالة لبنانية داخل فرقة عسكرية أجنبية في الأربعينات، نرى اليوم جيشاً وطنياً لكل لبنان يلتف حوله جميع اللبنانيين. كان معهم وسوف يظلّ دفاعاً عن الأرض وحفاظاً على الأمن وصوناً للحريات، وهو اليوم، وأمام نصب مؤسسه الرئيس فؤاد شهاب، يعاهدهم حفظ الأمانة وتحقيق تطلعاتهم وآمالهم في تحرير الأرض وصون الحريات وحماية الاستقلال".

ثم ألقى رئيس لجنة التكريم الوزير السابق جورج افرام الكلمة التالية:

"من حقنا نحن معشر اللبنانيين اليوم، ان نزداد أملاً واعتزازاً ونحن نكرم رئيساً مميزاً في ظلّ عهد احياء دولة القانون والشفافية والمؤسسات، ووضع مسار التغيير على الطريق الصحيح، والشعب بقواه الحية من حوله يؤازره في نهجه الوطني، ويطلب المزيد من المثابرة والشمولية في التصدي للفساد، ومن الاقدام على الخطوات التغييرية وتحريك العجلة الاقتصادية للتفريغ عن الضائقة المعيشية التي يعانيها الناس".

وأضاف: "التمثال - الحجر الذي كشفنا الستارة عنه منذ لحظات، لن يقف صامتاً ونحن تجاهه في نجوى وتأمل. فبيننا وبين صاحبه تواصل حوار ووجع مشترك وآمال كبيرة، وان كان يؤثر العمل

بصمت، تاركاً للتاريخ ان يكون دياناً عادلاً. لقد جعل فؤاد شهاب من العمل العام رسالة يذوب الانسان فيها ذاته في خدمة المصلحة الوطنية، فإذا به صاحب نهج إصلاحى وقائد حركة تصحيحية ذات رؤية شاملة في السياسة والإنماء والعدالة الاجتماعية. هذا الرئيس ظاهرة من قدرته على التنظيم والعمل عبر المؤسسات، حيث الادارة هي "في خدمة الجميع" وولاء الموظف هو للوطن والقانون، "فتصبح السياسة تمثيلاً ورقابة وضميراً ووطنية، وتتخلص من أثقال الوساطة والاستعلاء على القانون".

وتابع: "أما الجيش اللبناني الذي أسسه على قواعد وطنية سليمة، فقد خاطب ضباطه وجنوده قائلاً: جيشنا مدرسة الوحدة الوطنية بالتفكير والممارسة، يحيها ويحميها، يعرف ان الديمقراطية شرط من شروط بقاء لبنان. انكم سياج الأمة وعنوان كرامتها.

يغيب فؤاد شهاب، وتمرّ أعوام ستة وعشرون على رحيله، فنذكر ما قاله في الرابع من آب عام 1970: البلاد ليست مهياًة للتحويلات ولا معدة لتقبلها، ولا يمكن اعتماد هذه التحويلات متى حان وقتها إلا في إطار احترام الشرعية والحريات الأساسية التي طالما تمسكت بها.

لقد نبّه وحذّر بالأمس، ولكن السيف كان أصدق أنباء من الكتب. أما اليوم فما عساه يقول لنا، من ثمار اختبارات عاشها واكتوى بناها، واستشهد مشطور القلب حين رأى، ببعد نظره، ما ينتظرنا من مأس؟ انه ليوصينا بما كان الأعزّ على قلبه والأهم عنده، لا تتفرقوا، ففي اتحادكم قوة، وفي وحدتكم خلاص لبنان. التناحر او الانقسام يعني تفككاً وزعزعة للكيان الذي يتميز بدوره النهضوي ورسالته الانسانية. اسمعوا صوته: ليس من مطمع ولا مطلب يجوز ان تعرض من أجله الوحدة الوطنية ولا من جريمة في حق الوطن أشنع وأخطر من العمل او التفريط بها".

وأضاف: "في تكريمنا الرئيس فؤاد شهاب، حقه علينا ان نقول له: ظلمتك الظروف الاقليمية والدولية وظلمتنا، وكان الظلم على أشده، فكان قدر اللبنانيين ان يدفعوا بدمائهم ثمن حروب من أجل الآخرين. اطمئن ايها الرئيس القدوة. اليوم غير البارحة، والتطورات الاقليمية تتيح فرصة لم تكن سانحة في السبعينات. والثقة كبيرة بأن اللبنانيين لن يفرطوا بفرصة للتغيير الجذري الشامل، وقد أينعتها دماؤهم الزكية وآلامهم المبرحة. ورئيسنا اليوم هو رجل التغيير، والحكومة اتخذت الانقاذ والتغيير شعاراً لها. ألسنت من قال: ان ما انطوت عليه نفس اللبنانيين من الخير، ونما في قلوبهم من تعلق باستقلال بلادهم وتمسك بحرياتهم، يبعث فيّ كبير الثقة وعظيم الأمل في ان يخرج لبنان أشدّ ايماناً بنفسه، وأثبت أركاناً، وأعزّ مكاناً؟"

وتوجّه الى القائد الكبير: "سيخرج لبنان أعزّ مكاناً في ظلّ عهد رئيس مؤمن بإبداع اللبنانيين وإمكاناتهم، وبأن لا خيار للحكم إلا ان يظلّ ملتحمًا بالشعب، لا هوة بينهما ولا غربة، فلا تتجح قضية

إذا لم يدعم الشعب ولم تكن من أجله. شعبنا اليوم قد تطور وتغير، ولم يعد كما كان في عهدك. وظليته الشابة القلقة على المصير تعاني الأمرين وتبحث عن الخلاص، وتزخر بالطاقات والإبداع. وقوى الشعب الحيّة مستعدة للنضال وتفجير طاقاتها ودعم قيادات التغيير تحقيقاً للبنان أفضل، صاحب الدور النهضوي المتجدد والمأمول في منطقتة العربية، والمشاركة في الثورة التكنولوجية لئلا يفوتنا القطار كما فاتنا بالأمس من جرّاء تخلفنا عن الثورة الصناعية، فدفعنا ثمن ذلك هجرة جامعة لأفضل ما عندنا من طاقات ومواهب".

وختم: "تبقى العبرة الأخيرة التي نأخذها من ممارسة فؤاد شهاب القيادة والرئاسة، ان قوة المثل أبعد أثراً في النفوس، وأينع ثمرأً من الخطب والمواعظ.

فهنيئاً لجيشنا اللبناني بتخريج أمثال فؤاد شهاب واميل لحود، ليبقى مقلع الرجال ومصهر الوطنية ورمز الشرف والتضحية والوفاء.

نحن أبناء جونية وكسروان - الفتوح، أردنا تكريمك اليوم وفاءً لبعض ما لك علينا، فإذا بنا نحصل على المزيد من عطاءاتك يوماً وطنياً، يبعث فينا افتخاراً واعتزازاً هو الأعلى، يكشف أصلتنا الوطنية ويظهر روحاً نهضوية تجمع شمل جميع اللبنانيين وتوحد في ما بينهم ليحيوا كراماً أحراراً، ليحيا لبنان".

ثم كلمة ممثل رئيس الجمهورية اللبنانية، الرئيس سليم الحص:

"تلتقي اليوم لنكرم عظيماً، سطر صفحات وضاءة في تاريخ لبنان الحديث، المغفور له الرئيس اللواء فؤاد شهاب.

شكل الرئيس شهاب مدرسة في الوطنية، متحررة من العصبية والأحقاد، تأخذ من الماضي عبرة لمستقبل أرادته مشرقاً، وخط لنفسه نهجاً امتاز بالنزاهة والاخلاص والتضحية والتفاني والصرامة. وضع القول في موضع الفعل، فكان بليغاً وقوياً في صمته. أقبل على تحمل المسؤوليات الجسام، في اصعب الظروف، بحزم وعزيمة وتصميم، فتطلع اللبنانيون اليه منقداً في الملمات. اعتبر الحكم رسالة، فقام بما يمليه عليه الواجب، وكان زاهداً بالسلطة ولم يتوسلها أداة كسب شخصي.

أدرك ان الاستقلال لا يؤخذ ولا يعطى، انما يبني، فدعا الى بناء دولة الاستقلال، وجعلها مشروعاً، عمل على تحقيقه. وأدرك ان الوحدة الوطنية ركيزة الاستقلال، فجسمها في شخصه، وعمد الى تقوية الانتماء الوطني، وعزز دور الدولة في تأمين شروط العيش الكريم للمواطنين، فجعل التنمية الشاملة

والموازنة محوراً أساسياً في سياسة الدولة، وبأشرت الدولة تنمية المناطق النائية، والعمل على توسيع نطاق الضمانات الاجتماعية لتشمل العدالة الاجتماعية أوسع فئات المجتمع".

واعتبر "ان الرئيس شهاب أدرك ان المهمات الملقاة على عاتق دولة الاستقلال كثيرة وخطيرة، وانه لا يمكن القيام بها ما لم يتم تحديث مؤسسات الدولة، وتفعيل أدائها، واستحداث مؤسسات جديدة، فأنشئ العديد من المؤسسات الادارية والمالية، واعتمدت القوانين الكفيلة تحسين أداء القطاع العام. ورغم ما تحقق، بقيت الانجازات دون طموحات الرئيس القائد، نتيجة عراقيل قائمة في واقع تركيبية المجتمع. وعبر عن خيبة أمل، في بيان العزوف عن ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية في صيف 1970، إذ قال: ان البلاد ليست مهياً بعد ولا معدة، لتقبل تحولات لا يمكنني تصور اعتمادها إلا في إطار احترام الشرعية والحريات الأساسية التي طالما تمسكت بها".

وتابع الحص: "تولى مقاليد المسؤولية رئيساً للجمهورية اللبنانية، وهو يعي ان الوطن الصغير تحكمه تناقضات كيانية عديدة وخطيرة تعصف في كيانه بين الحين والحين، فكان يرى في تسلّمه مقاليد الرئاسة دوراً ورسالة.

عقله العسكري كان عقلاً صارماً عادلاً. فوظفه فؤاد شهاب، رئيس الجمهورية، في رسم المسارات التي يجب ان يسلكها في سبيل خلاص الدولة والوطن. الرجل العسكري مسكون بحسّ ديموقراطي إنساني، ممتلئ النفس بعظمة بلاده، وطيبة شعبه، فلم يرتبك، بل سلك الى هدفه ثابت الخطى. لقد عقد العزم على ان يبني في لبنان دولة. ومحاولة فؤاد شهاب بناء الدولة، دولة المؤسسات، كانت المحاولة الوطنية الجادة، الأولى منذ الاستقلال".

وأردف: "كان يسمى الدستور كتاباً وكأن له قدسية خاصة، فلا خرق لحرمة ولو في أدقّ التفاصيل. تشبعه بالروح الديموقراطية، وممارسته سياسة الرئاسة بحكمة وروية واتزان وحزم، وبعد عن الهوى، ووقفه على مسافة واحدة من السياسيين اللبنانيين، أفراداً وأحزاباً، حملت الناس، والسياسيين في ظليعتهم، على نعت أسلوبه هذا بـ "النهج" وعرف النهج الشهابي بالصلابة والاستقامة والترفع والاعتدال، وصون كرامة الوطن.

وتجسّد النهج، في ما بعد، تكتلاً سياسياً، ميزته الولاء للرئيس فؤاد شهاب في سدة الرئاسة وخارجها، وانتمى اليه حشد من السياسيين".

ورأى انه "في سياسته اللبنانية والعربية والدولية، كان شديد الرصانة، فلا شطط في القول ولا زلل في المسير. المساواة والعدالة في الداخل، والكرامة الوطنية والتضامن العربي في المحيط الاقليمي، وحفظ الصداقات التقليدية في التعاطي مع الدول الأجنبية.

هذا الرجل الطيب المعدن ما أخذ بعزة او بجاه، وما شعر بكبرياء الرئاسة، بل ظلّ على طبعه الانساني النبيل قريباً من الناس العاديين قربه من السياسيين، وهذا ما جعل الناس يتعلقون به ويتظاهرون عندما أظهر الزهد في المنصب الرئاسي.

لا غلو في القول ان أسس الدولة الحديثة في لبنان قد وضعها فؤاد شهاب، وإن أصابها بعض النكسات، فكان لا بدّ من ان تصحوا الضمائر وتحفظ للرجل فضله، وتشهد له بحرصه وسهره على احترام مؤسسات الدولة. وهذا ما يردده الناس ، كل الناس. وما لقأونا اليوم إلا تركية لهذه الشهادة".

وتوجّه الى الرئيس الغائب الحاضر قائلاً: "اننا عازمون على المضي في مسيرة الدولة الدولة، دولة المؤسسات التي حلمت بها ذات يوم، علماً أن بناء دولة القانون والمؤسسات هو الهدف الذي يسعى العهد الحالي، عهد الرئيس العماد اميل لحود جاهداً الى تحقيقه".

كلمة السفير اللواء الركن أحمد الحاج

بادئ ذي بدء أودّ ان أتوجّه بالشكر والامتنان الى لجنة تكريم الرئيس شهاب، والى مجلس بلدية جونيه الكريم، اللذان اتخذوا المبادرة، لإحياء هذا الحفل، وجمع هذه الوجوه الخيرة، في هذه البلدة الجميلة جونيه، عاصمة كسروان هذه المنطقة المعطاء، التي هي في مركز القلب من لبناننا العزيز، والتي أنبتت كبار الرجال، وفي طليعتهم الراحل الكبير فخامة الرئيس الأمير اللواء فؤاد شهاب الذي كان ولا يزال مالى الدنيا وشاغل الناس، والذي سطرّ أنقى الصفحات في تاريخ لبنان.

عندما طلب إليّ الصديق الكريم معالي الأستاذ جورج افرام، ان ألقى كلمة عن المغفور له الرئيس اللواء فؤاد شهاب، فكّرت في الأمر ملياً، وتساءلت، هل أتحدّث روتينياً عن نشأته والصفات القيادية المميزة التي تحلّى بها وعن نجاحه البارز، في تأسيس جيش الاستقلال، وعن إنقاذه للوطن إثر محنة 1958، وما حققه من منجزات، وكان الجواب، ان من يريد الإطلاع تفصيلاً على سيرة القائد الكبير، عليه الرجوع الى بعض الكتب القيمة، التي تناولت هذا الموضوع بكل موضوعية وجدية، وغيرها من المحاضرات والرسائل، والمطبوعات التي نشرت وما تزال تنتشر، من وقت لآخر.

ولذلك كان خيارى، وأرجو ان ينال استحسانكم، ان أسرد لكم بعض المواقف، التي كنت شاهداً فيها، وتدّل على مدى حرصه على حفظ كرامة لبنان، واحترامه لمركز الرئاسة وزهده بها، وتمسكه حرفياً بنصّ الدستور، الذي كان يسميه "الكتاب".

الزهد بالرئاسة:

في مطلع كانون الثاني العام 1964، وقبل تسعة أشهر تقريباً، من انتهاء ولايته الرئاسية فاجأني الرئيس شهاب بالسؤال التالي:

ماذا أعددت لمستقبلك بعد تركي الرئاسة، واستطرد، انني منذ تسلّمي مهامى في العام 1958، قرّرت ان أستقيل فور استتباب الأمور في البلاد، ووضع القطار على السكة الصحيحة، وانتم تعلم انني لم أتمكّن من تحقيق رغبتى هذه، في 20 تموز 1960، نزولاً عند رغبة الشعب وممّثليه، واضطرت للبقاء، والآن سيحاول الجميع من وزراء ونواب وفعاليات سياسية، لاقناعي بتجديد ولايتى، غير انني سأرفض كل محاولة لإبقائي في السدة الأولى وهذا "secret d'état" سرّ دولة - قالها بالفرنسية، انت مؤتمن عليه، ولي ملء الثقة، بأنه لن يتسرّب لأيّ كان، فأجبت انني ابن الجيش، وأريد العودة الى صفوف الجيش.

فقال: اذا كانت هذه رغبتك، فيقتضي ان تكتسب المزيد من الثقافة العسكرية والعامّة، وبعد كلية الأركان التي تابعتها في فرنسا، عليك الالتحاق بمدرسة الحرب العليا في باريس، ومدتها سنتان، ولذلك سأطلب من قائد الجيش ان يؤمن لك المقعد اللازم في تلك المؤسسة، بعد مغادرتى الرئاسة. وبالفعل سافرت لباريس في مطلع العام 1965 ونلت الإجازة من تلك المدرسة.

وطيلة الفترة التي سبقت انتخاب الرئيس حلو، كان الموضوع الأبرز على الساحة السياسية، هو محاولة إقناع الرئيس شهاب بتجديد ولايته، غير ان النواب بأكثريةهم الساحقة، بالرغم من إصراره المتواصل على الرفض، لم يستسلموا. ووقّع 79 منهم على مشروع قانون لتعديل الدستور، وأحاله رئيس المجلس، الأستاذ كامل الأسعد الى الحكومة التي ألحّت بالإجماع على الرئيس لقبوله.

وقبل موعد جلسة مجلس الوزراء المقررة للنظر بأمر التعديل المذكور، استدعاني فخامته الى مكتبه وقال لي: لقد صحّ ما توقّعت بشأن محاولات التجديد، وانتم تعلم ما انتمنّك عليه منذ مدة طويلة، بشأن قراري القاطع برفض التجديد، مهما كانت الذرائع، وقد أقسمت اليمين على احترام الدستور. غداً ستعقد جلسة لمجلس الوزراء لهذه الغاية، وان دولة الرئيس الحاج حسين العويني كما علمت، قد قطع عهداً للنواب بأن لا يوقع على أيّ قرار يقضي بردّ عريضة تعديل الدستور، وهو يرتاح لرأيك، لذلك أطلب منك ان تذهب اليه صباح غد وتقنعه بالتوقيع. وبالفعل توجّهت الى منزله

على طريق المطار، وحاولت جاهداً إقناعه بالتجاوب مع رغبة فخامة الرئيس، فرفض رفضاً باتاً قائلاً: انني أعطيت كلمتي للنواب بتضامني معهم، وهل تريدني "بعد هالشبيبة" ان أخلف الوعد؟

لدى وصولي لصربا أخبرت الرئيس بالنتيجة السلبية، فاستدعى الرئيس سركييس، وكان مديراً عاماً للغرفة المدنية في الرئاسة، وطلب اليه تحضير كتاب يوقعه هو شخصياً كي يرسله الى رئيس المجلس في حال استمرار رئيس الحكومة بالامتناع عن الموافقة على ردّ عريضة التمنيّ بالتجديد. وسأقرأ عليكم نص هذا الكتاب التاريخي الذي لم ينشر حتى الآن:

النزوق في 1964/6/3

عطوفة رئيس مجلس النواب

بالإشارة الى كتابكم رقم 39/ص تاريخ 28 أيار سنة 1964، الذي أودعتم برفقتيه، رئيس مجلس الوزراء، القرار المتخذ في جلسة مجلس النواب، المنعقدة بتاريخ 26 أيار سنة 1964، والقاضي بالتمنيّ على الحكومة، إحالة مشروع قانون، بتعديل المادة 49 من الدستور اللبناني، بغية إفساح المجال، لإعادة انتخابي رئيساً للجمهورية، وذلك ضمن الأصول التي حددها الدستور من أجل تعديله، في المادة 77 منه، أحيطكم علماً:

بأنّي، مع تقديري للعاطفة الوطنية النبيلة، التي أملت على مجلس النواب اتخاذ القرار المذكور، أعلن عن إصراري على الموقف الذي سبق لي ان اتخذته، في شأن هذه القضية بالذات، والذي عبّرت عنه في أكثر من مناسبة، سواء في اجتماعات خاصة او عامة، وعلى لسان حضرة وزير الإرشاد والأنباء والسياحة، بتاريخ التاسع والعشرين من شهر نيسان الماضي، وقد قبلت بتحمل مسؤوليات الرئاسة، في ظروف استثنائية خطيرة، مرت بها البلاد، مقتنعاً آنذاك، ان وجودي في منصب الرئاسة، من شأنه ان يعيد البلاد الى حالتها الطبيعية، ويؤمن لها الاستقرار في جو من الوحدة الوطنية.

وبعد ان زالت تلك الظروف المشار اليها، والحمد لله، لا أرى بالتالي مبرراً للاستمرار في الاضطلاع بهذه المسؤولية الكبرى التي اعتبرها خدمة عامة وحسب، وانه ينبغي إفساح المجال لسواي لأداء هذه الخدمة.

وانني إذ أشكر لعطوفتكم وللسادة النواب أصحاب القرار، عاطفتكم النبيلة، وليدة اقتناعهم الصادق بضرورة بقائي على رأس الدولة، أراني آسفاً بأن أعيد لعطوفتكم قرار التمنيّ، دون القبول به، داعياً بالمزيد من العزة والازدهار للبناننا الحبيب.

غير ان فخامته لم يضطر لإرساله الى المجلس لأن الرئيس العويني، وبعد جدال طال في مجلس الوزراء، وبعد ان أطلعته انا والمغفور له الرئيس سركييس على مضمون الكتاب المذكور، رضخ لربة الرئيس وصدر عن مجلس الوزراء القرار التالي:

أطلع المجلس على الاقتراح المصدق عليه من قبل المجلس النيابي، في جلسته المنعقدة بتاريخ 26 أيار 1964، الرامي الى إفساح المجال لإعادة انتخاب فخامة اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية.

وإن يقدر المجلس الشعور الوطني النبيل الذي أملى على ممثلي الأمة، أصحاب الاقتراح موقفهم هذا، يرى ان لا مجال للأسف لإجابة الطلب، ويعيد بالتالي القرار الى المجلس النيابي الكريم، كما ورد، دون وضع مشروع قانون بالتعديل المقترح.

غير ان الفرصة أتحت له في العام 1970 كي يتبوأ سدة الرئاسة مرة اخرى وكان فوزه مضموناً مائة بالمئة، سيما وان "الكتاب" اي الدستور لن يمسّ ولا حاجة لتعديله، بعد ان انقضت السنوات الست على تركه الرئاسة، وهي الشرط الذي نصّ عليه الدستور كي ينتخب مرة ثانية.

والجدير بالذكر ان المرشح الجدّي، الذي اختارته القوى السياسية المناوئة للرئيس شهاب، كان المغفور له الرئيس سليمان فرنجية، وكان يشغل حينذاك منصب وزير الاقتصاد، وكان في الوقت نفسه يرأس اللجنة البرلمانية، التي عهد اليها بتعديل قانون الجيش، وكنت انا مكلفاً بتمثيل القيادة امام تلك اللجنة.

وفي يوم سابق لاحدى اجتماعاتها، اتصل الوزير فرنجيه وقال لي: غداً لدينا اجتماع في مكنتي في الوزارة الساعة الثانية عشر والنصف، أمل ان تأتيني قبل هذا الموعد بنصف ساعة، لأن هناك موضوعاً هاماً جداً، أريد التداول معك بشأنه.

وفور لقائه بادرني بالقول:

"انني أعلم جيداً مدى ثقة الجنرال شهاب بك، ولا حاجة كي أعبر لك عن رأيي بك، انني اريد منك إبلاغ فخامة الرئيس الرسالة التالية: اذا كان يرغب في الرئاسة، فهي مضمونة له مئة بالمئة، وانا وكل من يناصرنني من نواب كتلة الوسط وغيرهم من الذين يساندون ترشحي ايضاً، سنعلن تأييدنا له، اما اذا كان عازفاً عن ترشيح نفسه، فأتمنى بالمقابل ان يؤيدني، واريد منك جواباً سريعاً."

اجتمعت مساء ذلك اليوم بالرئيس شهاب ونقلت له الرسالة، وأضفت، ان الوزير فرنجيه رجل شهم ويحترم كلمته، فأجاب: ما راح تفهموا عليي، انا عملت رئيس بالصدفة وما راح عيدها، قللوا لابن فرنجيه، ممنون كثير. قللتكم ما بدي أعمل ريس.

وعن احتمال تأييده للرئيس فرنجيه، أجب: **قاتلك بتقلو ممنون كثير، الجنرال ما بدو يعمل ريس ويس. وإلك بقول ما في إلا ابن سر كيس روجو اشتغلولو.**

وفي الخامس من آب 1970، أعلن الجنرال بيانه الشهير بعدم خوضه معركة الرئاسة، والأسباب الوجيهة التي دعت له لذلك، وكلكم يعلم ان الرئيس فرنجيه فاز بتلك المعركة بفارق صوت واحد هو صوته، لأن الرئيس سر كيس لم يكن نائباً.

وما زال العاملون في الحقل العام من اللبنانيين وغير اللبنانيين، يتساءلون حتى تاريخه، وسيبقى السؤال مطروحاً في المستقبل، ترى لو قيل الرئيس شهاب ان يتبوأ الرئاسة في العام 1970، هل كان باستطاعته ان يمنع هبوب العاصفة الهوجاء، التي اجتاحت لبنان طيلة خمسة عشر عاماً ونيّف، والتي ما يزال يللم جراحه منها، والتي سيظل ويا للأسف، وحتى في أحسن الأحوال، يحصد من نتائجها المدمرة في النفوس وفي الممتلكات، طيلة عشرات السنين المقبلة، ام انه على الأقل كان بإمكانه تحجيم تلك النتائج الى حد كبير؟

وبالرغم من انني كنت من رأيه بعدم التجديد العام 1964، كنت من مؤيدي ترشيحه في العام 1970، لأنه ببعد نظره، ورجاحة عقله، وصبره وتواضعه الجم، وبراعته في التخطيط، ونزاهته وتجردّه وعمق إيمانه بالله وحسّه بالمسؤولية، وخبرته الواسعة بالشأن العام.

لكل هذه الصفات والمزايا وغيرها، بالإضافة الى الاحترام الذي كان يوحيه لدى مناوئيه قبل مناصريه، كان الوحيد بين المرشحين للرئاسة، في ذلك الحين، ليس فقط الأقدر على مواجهة المصاعب والمؤامرات التي كانت تتربص بلبنان، بل المؤهل ايضاً لمتابعة بناء دولة الاستقلال والمؤسسات، وإرسائها على أسس ثابتة حديثة، وحماية المنجزات العمرانية والاجتماعية والادارية والتنظيمية التي تمّ تحقيقها في فترة قياسية وجيزة.

وعن مدى حرصه على حرمة الرئاسة وكرامة لبنان سأذكر الحديثين التاليين:

لن أطيل سرد وقائع الحدث الأول، إذ انكم تعرفون جيداً الاجتماع في خيمة الصفيح، الذي تمّ على الحدود السورية اللبنانية بتاريخ 25 آذار 1959، بينه وبين رئيس الجمهورية العربية المتحدة الرئيس عبد الناصر، والذي حضرت له بالتنسيق مع العميد المصري عبد المحسن ابو النور، ممثل الرئيس عبد الناصر في القطر السوري آنذاك.

أما الحدث الثاني، فكان اجتماعه بالسيد لندون جونسون الذي أتى لزيارة لبنان في العام 1962، وكان في ذلك الحين نائباً للرئيس كندي، والذي أصبح فيما بعد، رئيساً للولايات المتحدة بعد اغتيال الأخير في تشرين الثاني عام 1963. وقبل وصول السيد جونسون لصربا، سألني الرئيس: هل أستقبله في مكنتي أم في صالون الطبقة الأرضية من المبنى؟

فأجبت انه نائب رئيس الولايات المتحدة، واذا أردت تكريمه فمن المستحسن استقباله في الصالون المذكور. وهكذا كان. وبعد انتهاء الاجتماع نهض المسؤول الأميركي وغادر القاعة، متجهاً الى درج مدخل المبنى، ظناً منه ان الرئيس شهاب سيتبعه حتى الدرج، غير انه بقي عند عتبة مدخل الصالون وقال له بالفرنسية مودعاً: **Au revoir Mr. le vice président** فعاد جونسون

الى حيث كان يقف الرئيس وودّعه، وفور مغادرته المبنى قال لي فخامته "يا ابن الحاج، هيدا اسمو نائب الرئيس وحدودو لعتبة الصالون، وانا رئيس جمهورية لبنان، ولو كان "كندي" الزائر لكنت ودّعته لباب السيارة. رئاسة الجمهورية مش ملكي، هيدي ملك اللبنانيين."

إن الحديث عن فؤاد شهاب، الذي لم يعتز به يوماً دوار القمة، والكلام عن شخصيته المميزة وعن مسيرته الزاخرة بالإنجازات الوطنية المدنية والعسكرية، قد يستغرق أكثر من مجلد. وقد حصرت حديثي ببعض الوقائع التي عشتها، والتي تعطي الدليل الساطع، على مدى زهد الرئيس بالرئاسة، التي ما قبلها إلا تلبية لنداء الواجب، عندما سعى التاريخ اليه، للقيام بمهمة انقاذية.

وبالرغم من هذه الوقائع التاريخية الدامغة، لا تزال هناك قلة تدّعي بأنها هي التي حالت دون التجديد عام 1964 ودون وصول الأمير اللواء الى الرئاسة عام 1970، والثابت والأكيد كما بينت، او الوحيد الذي حال دون ذلك في المرتين، هو الرئيس شهاب نفسه.

وقبل ان أنهي أودّ الاستشهاد بفقرتين من خطابه بمناسبة ذكرى الاستقلال في 22 تشرين 1960، يرشد فيها اللبنانيين الى كيفية بناء هذا الاستقلال، ويبين لهم أهمية التمسك بالوحدة الوطنية للحفاظ على الوطن.

"ايها اللبنانيون،

في ذكرى الاستقلال، الذي قيل فيه انه يؤخذ ولا يعطى، ما أراني إلا معبراً عن تجارب لبنان، حين أقول، ان الاستقلال الحقّ، لا يؤخذ ولا يعطى، ان الاستقلال يبني.

ليس في اللبنانية تمييز ولا امتياز، وليس للبناني على لبنان فضل إلا بالعمل الصادق. فليكن حبكم للبنان وإخلاصكم له، وحرصكم على استقلاله، عملاً وعملاً لا يكلّ، ان استقلالكم هو عمل كل منكم، وهو عمل كل يوم.

وفي فقرة أخرى يضيف:

إن الحفاظ على الوحدة الوطنية في بلد كلبنان، تعددت مذاهبه وطوائفه، حياته في هذه الوحدة، وشقاؤه في زوالها، شرف لا يقل عن الحفاظ على حدود الوطن، ومجد لا يوازيه إلا مجد الموت في ظل العلم.

إن هذه المبادئ السامية التي خاطب بها الرئيس شهاب اللبنانيين منذ تسعة وثلاثين عاماً، وكأنها قيلت بالأمس، ستبقى الشعلة المتوقدة التي تضيء طريق الوطنية السوي للأجيال الطالعة، هذا المبادئ التي يقتضي أن تكون دستور عملنا اليومي، كي يبقى لنا لبنان كما أراده الرئيس الكبير، وطناً يفخر بأبناؤه بدوره الحضاري والإنساني المتألق، وينعمون فيه وهم متساوون في الحقوق والواجبات، بالحرية والاطمئنان والازدهار.

نسر لبنان⁽¹⁾

بقلم مصطفى محمود القعقور

المعروف بالشاعر مصطفى محمود

قالوا غداً فأجبتهم قرب الغد
لم لا تجدد والقلوب بأسرها
لبيك يا رمز المحبة والقدى
شيدت عهدك بالنضال وحسبنا
وسعيت تبني وحدة وطنية
وزرعت لا تبغي لنفسك غاية
وبأن عهدك يا فؤاد مجدّد
جاءت تبارك بالولاء وتنشد
لبيك صوت الحق لا يتردد
من ان عهدك بالنضال مشيد
في ظل عطفك شملها يتوحد
هل انت تزرع ثم غيرك يحصد؟

لبنان ياأبي غير شخصك رائداً
والشعب يهتف بالولاء مجدداً
تلك المشاريع التي حققتها
كم معهد أسست بين ربوعنا
كم معبد تسعى لتبني صرحه
يا رائد النصر المبين أتزهد؟
والشوق في أعماقه يتوقّد
تسمو بفضلك يا فؤاد وتشهد
والسجن يقفل حين يفتح معهد
فكأن قلبك للقداسة معبد

(1) مهداة الى فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية اللواء الأمير فؤاد شهاب المعظم.

سئل الظلام فقال نور شهابكم
يا من على العمران يسهر دائباً
أيها النسـر الذي بإبائه
يا أيها الرجل الذي بضميره
لم يشهد التاريخ مثلك مخلصاً
غمر الربى وفم الزمان يزغرد
وبكل خير مثمر يتعهّد
تزهو البطولة والعلـى والسؤدد
يرعى الحقوق وبالتقى يتزوّد
والحرّ بالإخلاص كم يتقيّد
